شروح المرجع المدرسي

شرح رسالة الحقوق

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد تقي المدرسي

مركز الفكر الرسالي
للدراسات والأبحاث

شُروحُ المرجعِ المُدرّسي

شرح رسالة الحقوق

سماحةُ المرجعِ الدّيني آيةُ اللهِ العُظمى الحاجُ
السّيّدُ محمّدتقي المُدرّسيُّ

مركز الفكر الرسالي
للدراسات والأبحاث

محفوظة جميع الحقوق

هوية الكتاب:

* **الكتاب:** شرح رسالة الحقوق. (شروح المرجع المدرسي).
* **المؤلف:** المرجع الديني سماحة آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله).
* **الطبعة:** الأولى: ١٤٤٢هـ/ ٢٠٢١م.
* **الناشر:** مركز الفكر الرسالي للدراسات والأبحاث.
* **الإخراج الفني:** الكليم جرافيك:

mohd.he@gmail.com
+973 36577227

مركز الفكر الرسالي
للدراسات والأبحاث

www.resali.net
alfekralresali@gmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

إن مقدار الاهتمام بالشيء يبتني على معرفة أهميته ومقدار قيمته. ولذلك فإننا عندما نشير إلى النص الوارد عن الإمام زين العابدين علي ابن الحسين عليه السلام والمعروف ب (رسالة الحقوق)، لا نعوّل على أقدمية النص وأسبقية التعاطي مع الموضوع الحقوقي، ولكننا نعوّل على قيمة هذه الرسالة بالنسبة للإنسان والمجتمع بل وللحضارة.

إن تاريخ حقوق الإنسان ومسيرة المطالبة بالحقوق عموماً أقدم مما يتحدث عنه فيما تحقق في القرن العشرين من ظهور وثيقة الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في الجمعية العامة لحقوق الإنسان سنة ١٩٤٨م، وما تطور بشأنه في القرن الواحد والعشرين. فهناك محاولات حقوقية ومحاولات تقنين في تاريخ حتى ما قبل الميلاد، ويبدو أن الحركة الحقوقية ارتبطت بشكل أساس ببعثات الأنبياء الذين طالبوا بعبادة الله تعالى وتوحيده نفياً لعبادة الطاغوت، والمال، والشهوات، مما ينتج عنها إهدار كرامة الإنسان وسلب حقوقه، وارتبطت بمن تأثر بتلك البعثات؛ بل ويمكن القول أن البُعد الحقوقي مرتبط بفطرة الإنسان وهو ما يقوده إليه عقله، فلذلك ظهرت بعض المحاولات والمطالبات في تعزيز البعد الحقوقي للإنسان على مر التاريخ البشري.

إلا أن البُعد القيمي هو أهم الأبعاد، فإن المطلوب ليس الحديث عن حقوق إنسانية فحسب، بل لابد من الحديث عن الميزان القيمي لتلك الحقوق، وأن افتقار البعد الحقوقي للتأسيس القيمي من شأنه أن يجعل تلك الحقوق منفلتة وغير منضبطة بميزان قويم، ولذلك فإن النفع ينتفي منها، وهذا ما يحصل للحقوق كل ما تقدم الزمن وتداخلت الثقافات وتأثرت بالأبعاد المصلحية والمفاهيم الخاطئة والنزعات الشهوانية، فتصبح الحقوق مجرد استحسانات أو تابعة لوسائل ضغط ونفوذ أو لتلبية كافة الرغبات الشهوانية، فيصل المشرّع لتشريع مواد باسم الحقوق حتى لو كانت تسعى لضرب أشهر الثوابت التي دانت عليها البشرية وعقلاؤها وديانتها وهي (الأسرة والزواج)، ليؤسس في قباله زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء تطبيعاً للشذوذ وتشريعاً للرذيلة.

ومن هنا تأتي رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام في بُعدها القيمي متوافقة مع نهج ديني سماوي مرتبط بالوحي ونوره، وأيضاً متوافقة مع الفطرة البشرية، إضافة إلى أنها ذات نظرة تستوعب اهتمامات الحقوق فيها إلى أبعد من علاقة الإنسان بالإنسان، وفتحت الأفق إلى أهم حق من الحقوق الذي تنتظم كافة الحقوق بانتظامه ويضمن ثباتها، وهو حق الله تعالى. وقد عبّرت الرسالة الحقوقية عن حق الله (بالحق الأكبر) على الإنسان وهو أن يعبده ولا يشرك بعبادته أحداً، وبهذا تنتظم حياته الدنيوية وحياته الأخروية، وهي نظرة شمولية لنفع الحقوق واستيعابها للحياتين.

إن هذا الشرح الذي نقدّمه للقارئ الكريم هو شرح لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله) كان قد ألقاه على طلبة البحث الخارج ضمن درسه الأخلاقي في الحوزة العلمية، وقد

طبع فيما بعد بضميمة سائر روايات الدرس الأخلاقي تحت مسمّى (**جهاد النفس**)، كما طبع مستقلاً تحت عنوان «**تأملات في رسالة الحقوق**»، ونحن بدورنا نقدّمه للقارئ الكريم ضمن سلسلة شروحات نصوص المعصومين عليهم السلام التي قدّمها سماحته، والتي امتازت كما امتاز في تفسيره للقرآن الكريم، باستخراج الكنوز المعرفية والمعارف التربوية المؤثرة في واقع الإنسان، ولا يكتفي باستجلاء المعنى العام للنص، لذا تجده يحاكي الحياة في جوانبها المختلفة ويعرض التجارب في هذا السياق.

وينطلق سماحته في شرح رسالة الحقوق من رؤية تأسيسية للقيم التي تتفرع منها القوانين التي تصيغ حياة الإنسان وتنظّم مساره، ونذكر في هذا الصدد ما يقوله ضمن الشرح عن هذه الرسالة:

(رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام تمهّد الأرضية المناسبة لعملية التشريع في مختلف الشؤون الاجتماعية، حيث يطوي المشرّع في هذا المجال مرحلتين أساسيتين في مهمته:

المرحلة الأولى: هي مرحلة تحديد القيم التي ترسم الأهداف المقدّسة للقانون.

المرحلة الثانية: تلك التي تخصّ التقنين والتشريع بتفاصيله.

ورسالة الحقوق هذه تختص بتبيين القيم التي ينبغي أن يستفيد منها المشرّع في عملية التقنين، فتلك القيم تتّصف بالثبات والاستمرارية على طول المدى، رغم التفاوت الحاصل في عملية التطبيق).

فسماحة المرجع المدرسي ضمن هذه الرؤية ينظر للنصوص الواردة عن معدن الرسالة وأهل بيت النبوة بأنها مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بكل جوانب حياة الإنسان، ولا يمكن فصل النصوص الأخلاقية عن الأبعاد التشريعية

التي يقوم بها علم الفقه، فيقول في هذا السياق:

«إن الفصل بين الفقه والأخلاق الذي يعتبر أمراً متعارفاً في الوقت الحاضر يمثّل حالة خاطئة جداً، فالفقه إنما هو برنامج تفصيلي لتطبيق الأخلاق الحسنة وتحقيق العدالة التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها في كتابه المجيد: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى**﴾.

فالأئمة المعصومون عليهم السلام حينما يتحدّثون في الأمور الفقهية فإنهم لا يفصلونها أبداً عن الأخلاق».

نسأل الله تعالى أن يمنّ على الأمة الإسلامية بالانتفاع من نور أهل البيت عليهم السلام، من خلال الارتباط بنصوصهم ووعيها وعياً رسالياً صافياً من تأثرات الواقع السيئ والثقافات السلبية، فإنهم عليهم السلام محور الحق ومشكاة الهدى.

مركز الفكر الرسالي
للدراسات والأبحاث





رسالة الحقوق





رسالة الحقوق

وسائل الشيعة[1]: مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ الْفَضْلِ عَنْ ثَابِتِ بْنِ دِينَارٍ عَنْ سَيِّدِ الْعَابِدِينَ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام قَالَ:

حَقُّ اللَّهِ الْأَكْبَرُ عَلَيْكَ: أَنْ تَعْبُدَهُ ولَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرَ الدُّنْيَا والْآخِرَةِ[2].

وَحَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ: أَنْ تَسْتَعْمِلَهَا بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ.

وَحَقُّ اللِّسَانِ: إِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَا وتَعْوِيدُهُ الْخَيْرَ وتَرْكُ الْفُضُولِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ لَهَا، والْبِرُّ بِالنَّاسِ وحُسْنُ الْقَوْلِ فِيهِمْ.

وَحَقُّ السَّمْعِ: تَنْزِيهُهُ عَنْ سَمَاعِ الْغِيبَةِ وسَمَاعِ مَا لَا يَحِلُّ سَمَاعُهُ.

وَحَقُّ الْبَصَرِ: أَنْ تَغُضَّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ وتَعْتَبِرَ بِالنَّظَرِ بِهِ.

---

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٥، ص١٧٢.

(٢) من قوله- حق اللّه الأكبر إلى قوله- والآخرة، ليس في المجالس، وهو موجود في الخصال (هامش المخطوط).

وَحَقُّ يَدَيْكَ[١]: أَنْ لَا تَبْسُطَهُمَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ.

وَحَقُّ رِجْلَيْكَ: أَنْ لَا تَمْشِيَ بِهِمَا إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ، فَبِهِمَا تَقِفُ عَلَى الصِّرَاطِ، فَانْظُرْ أَنْ لَا تَزِلَّ[٢] بِكَ فَتَرَدَّى فِي النَّارِ.

وَحَقُّ بَطْنِكَ: أَنْ لَا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِلْحَرَامِ ولَا تَزِيدَ عَلَى الشِّبَعِ.

وحَقُّ فَرْجِكَ: عَلَيْكَ أَنْ تُحْصِنَهُ مِنَ الزِّنَا وتَحْفَظَهُ مِنْ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِ.

وَحَقُّ الصَّلَاةِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وِفَادَةٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، وأَنْتَ فِيهَا قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ قُمْتَ مَقَامَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الْحَقِيرِ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ الرَّاجِي الْخَائِفِ الْمُسْتَكِينِ الْمُتَضَرِّعِ الْمُعَظِّمِ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ والْوَقَارِ، وتُقْبِلَ عَلَيْهَا بِقَلْبِكَ وتُقِيمَهَا بِحُدُودِهَا وحُقُوقِهَا.

وَحَقُّ الْحَجِّ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وِفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ وفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكَ، وفِيهِ قَبُولُ تَوْبَتِكَ وقَضَاءُ الْفَرْضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ.

وَحَقُّ الصَّوْمِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ عَلَى لِسَانِكَ وسَمْعِكَ وبَصَرِكَ وبَطْنِكَ وفَرْجِكَ يَسْتُرُكَ بِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ تَرَكْتَ الصَّوْمَ خَرَقْتَ سِتْرَ اللَّهِ عَلَيْكَ.

---

(١) في نسخة- يدك (هامش المخطوط).

(٢) في المصدر- الا تزلا.

وَحَقُّ الصَّدَقَةِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ ووَدِيعَتُكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ عَلَيْهَا وكُنْتَ بِمَا[1] تَسْتَوْدِعُهُ سِرّاً أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا تَسْتَوْدِعُهُ عَلَانِيَةً، وتَعْلَمَ أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْكَ الْبَلَايَا والْأَسْقَامَ فِي الدُّنْيَا وتَدْفَعُ عَنْكَ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ.

وَحَقُّ الْهَدْيِ: أَنْ تُرِيدَ بِهِ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ ولَا تُرِيدَ خَلْقَهُ ولَا تُرِيدَ بِهِ إِلَّا التَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ ونَجَاةَ رُوحِكَ يَوْمَ تَلْقَاهُ.

وَحَقُّ السُّلْطَانِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فِتْنَةً وأَنَّهُ مُبْتَلًى فِيكَ بِمَا جَعَلَ اللَّهُ لَهُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ، وأَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَتَعَرَّضَ لِسَخَطِهِ فَتُلْقِيَ بِيَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ وتَكُونَ شَرِيكاً لَهُ فِيمَا يَأْتِي إِلَيْكَ مِنْ سُوءٍ.

وَحَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ: التَّعْظِيمُ لَهُ والتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وحُسْنُ الِاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ والْإِقْبَالُ عَلَيْهِ، وأَنْ لَا تَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ ولَا تُجِيبَ أَحَداً يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ، ولَا تُحَدِّثَ فِي مَجْلِسِهِ أَحَداً ولَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَداً، وأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ، وأَنْ تَسْتُرَ عُيُوبَهُ وتُظْهِرَ مَنَاقِبَهُ ولَا تُجَالِسَ لَهُ عَدُوّاً ولَا تُعَادِيَ لَهُ وَلِيّاً، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَهِدَ لَكَ مَلَائِكَةُ اللَّهِ بِأَنَّكَ قَصَدْتَهُ وتَعَلَّمْتَ عِلْمَهُ لِلَّهِ جَلَّ اسْمُهُ لَا لِلنَّاسِ.

وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمِلْكِ: فَأَنْ تُطِيعَهُ ولَا تَعْصِيَهُ إِلَّا فِيمَا يُسْخِطُ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ.

---

(١) -- في نسخة- لما (هامش المخطوط).

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُمْ صَارُوا رَعِيَّتَكَ لِضَعْفِهِمْ وقُوَّتِكَ، فَيَجِبُ أَنْ تَعْدِلَ فِيهِمْ وتَكُونَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ وتَغْفِرَ لَهُمْ جَهْلَهُمْ ولَا تُعَاجِلَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ، وتَشْكُرَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ عَلَى مَا آتَاكَ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَيْهِمْ.

وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ إِنَّمَا جَعَلَكَ قَيِّماً عَلَيْهِمْ[1] فِيمَا آتَاكَ مِنَ الْعِلْمِ وفَتَحَ لَكَ مِنْ خِزَانَتِهِ[2] فَإِنْ أَحْسَنْتَ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ ولَمْ تَخْرَقْ بِهِمْ ولَمْ تَضْجَرْ عَلَيْهِمْ زَادَكَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، وإِنْ أَنْتَ مَنَعْتَ النَّاسَ عِلْمَكَ أَوْ خَرِقْتَ بِهِمْ عِنْدَ طَلَبِهِمُ الْعِلْمَ مِنْكَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ أَنْ يَسْلُبَكَ الْعِلْمَ وبَهَاءَهُ ويُسْقِطَ مِنَ الْقُلُوبِ مَحَلَّكَ.

وَأَمَّا حَقُّ الزَّوْجَةِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَهَا لَكَ سَكَناً وأُنْساً، فَتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْكَ، فَتُكْرِمَهَا وتَرْفُقَ بِهَا وإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَوْجَبَ، فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَمَهَا، لِأَنَّهَا أَسِيرُكَ، وتُطْعِمَهَا وتَكْسُوَهَا وإِذَا جَهِلَتْ عَفَوْتَ عَنْهَا.

وَأَمَّا حَقُّ مَمْلُوكِكَ :فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ خَلْقُ رَبِّكَ وابْنُ أَبِيكَ وأُمِّكَ ولَحْمُكَ ودَمُكَ، لَمْ تَمْلِكْهُ لِأَنَّكَ صَنَعْتَهُ دُونَ اللَّهِ ولَا خَلَقْتَ شَيْئاً مِنْ جَوَارِحِهِ ولَا أَخْرَجْتَ لَهُ رِزْقاً، ولَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ كَفَاكَ

(١) في نسخة- لهم (هامش المخطوط).

(٢) في نسخة- خزانة الحكمة (هامش المخطوط).

ذَلِكَ ثُمَّ سَخَّرَهُ لَكَ وائْتَمَنَكَ عَلَيْهِ واسْتَوْدَعَكَ إِيَّاهُ لِيَحْفَظَ لَكَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ خَيْرٍ إِلَيْهِ، فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وإِنْ كَرِهْتَهُ اسْتَبْدَلْتَ بِهِ ولَمْ تُعَذِّبْ خَلْقَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ أُمِّكَ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَداً وأَعْطَتْكَ[1] مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُعْطِي[2] أَحَدٌ أَحَداً ووَقَتْكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهَا ولَمْ تُبَالِ أَنْ تَجُوعَ وتُطْعِمَكَ وتَعْطَشَ وتَسْقِيَكَ وتَعْرَى وتَكْسُوَكَ وتَضْحَى وتُظِلَّكَ وتَهْجُرَ النَّوْمَ لِأَجْلِكَ، ووَقَتْكَ الْحَرَّ والْبَرْدَ لِتَكُونَ لَهَا وأَنَّكَ لَا تُطِيقُ شُكْرَهَا إِلَّا بِعَوْنِ اللَّهِ وتَوْفِيقِهِ.

وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَصْلُكَ فَإِنَّهُ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ فَمَهْمَا رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ مَا يُعْجِبُكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ فَاحْمَدِ اللَّهَ واشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَ أَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْكَ ومُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وشَرِّهِ وأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وُلِّيتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ والدَّلَالَةِ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وجَلَّ والْمَعُونَةِ عَلَى طَاعَتِهِ، فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُثَابٌ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ مُعَاقَبٌ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ يَدُكَ وعِزُّكَ وقُوَّتُكَ فَلَا تَتَّخِذْهُ سِلَاحاً عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ ولَا عُدَّةً لِلظُّلْمِ لِخَلْقِ اللَّهِ، ولَا تَدَعْ نُصْرَتَهُ

(١) في تحف العقول- أطعمتك (هامش المخطوط).
(٢) في تحف العقول- لا يطعم (هامش المخطوط).

عَلَى عَدُوِّهِ والنَّصِيحَةَ لَهُ، فَإِنْ أَطَاعَ اللَّهَ وإِلَّا فَلْيَكُنِ اللَّهُ أَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ مَوْلَاكَ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ وأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ ووَحْشَتِهِ إِلَى عِزِّ الْحُرِّيَّةِ وأُنْسِهَا، فَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ الْمَلَكَةِ وفَكَّ عَنْكَ قَيْدَ الْعُبُودِيَّةِ وأَخْرَجَكَ مِنَ السِّجْنِ ومَلَّكَكَ نَفْسَكَ وفَرَّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ وتَعْلَمَ أَنَّهُ أَوْلَى الْخَلْقِ بِكَ فِي حَيَاتِكَ ومَوْتِكَ وأَنَّ نُصْرَتَهُ عَلَيْكَ وَاجِبَةٌ بِنَفْسِكَ ومَا احْتَاجَ إِلَيْهِ مِنْكَ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ مَوْلَاكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ جَعَلَ عِتْقَكَ لَهُ وَسِيلَةً إِلَيْهِ وحِجَاباً لَكَ مِنَ النَّارِ، وأَنَّ ثَوَابَكَ فِي الْعَاجِلِ مِيرَاثُهُ، إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ مُكَافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَ مِنْ مَالِكَ وفِي الْآجِلِ الْجَنَّةُ.

وَأَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ: فَأَنْ تَشْكُرَهُ وتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وتَكْسِبَهُ الْمَقَالَةَ الْحَسَنَةَ وتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وعَلَانِيَةً ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى مُكَافَأَتِهِ يَوْماً كَافَأْتَهُ.

وَأَمَّا حَقُّ الْمُؤَذِّنِ: أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مُذَكِّرٌ لَكَ رَبَّكَ عَزَّ وجَلَّ ودَاعٍ لَكَ

إِلَى حَظِّكَ وعَوْنُكَ عَلَى قَضَاءِ فَرْضِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ عَلَيْكَ، فَاشْكُرْهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَ الْمُحْسِنِ إِلَيْكَ.

وَأَمَّا حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلَاتِكَ: فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ تَقَلَّدَ السِّفَارَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَ رَبِّكَ عَزَّ وجَلَّ وتَكَلَّمَ عَنْكَ ولَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ ودَعَا لَكَ ولَمْ تَدْعُ لَهُ وكَفَاكَ هَوْلَ الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وجَلَّ، فَإِنْ كَانَ نَقْصٌ كَانَ بِهِ دُونَكَ وإِنْ كَانَ تَمَاماً كُنْتَ شَرِيكَهُ، ولَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْكَ فَضْلٌ فَوَقَى نَفْسَكَ بِنَفْسِهِ وصَلَاتَكَ بِصَلَاتِهِ فَتَشْكُرُ لَهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ.

وَأَمَّا حَقُّ جَلِيسِكَ: فَأَنْ تُلِينَ لَهُ جَانِبَكَ وتُنْصِفَهُ فِي مُجَارَاةِ اللَّفْظِ، ولَا تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ إِلَّا بِإِذْنِهِ ومَنْ يَجْلِسُ إِلَيْكَ يَجُوزُ لَهُ الْقِيَامُ عَنْكَ بِغَيْرِ إِذْنِكَ، وتَنْسَى زَلَّاتِهِ وتَحْفَظَ خَيْرَاتِهِ ولَا تُسْمِعَهُ إِلَّا خَيْراً.

وَأَمَّا حَقُّ جَارِكَ: فَحِفْظُهُ غَائِباً وإِكْرَامُهُ شَاهِداً ونُصْرَتُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً، ولَا تَتَبَّعْ لَهُ عَوْرَةً، فَإِنْ عَلِمْتَ عَلَيْهِ سُوءاً سَتَرْتَهُ عَلَيْهِ، وإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَقْبَلُ نَصِيحَتَكَ نَصَحْتَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وبَيْنَهُ، ولَا تُسْلِمْهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ، وتُقِيلُ عَثْرَتَهُ وتَغْفِرُ ذَنْبَهُ وتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الصَّاحِبِ: فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالتَّفَضُّلِ والْإِنْصَافِ، وتُكْرِمَهُ كَمَا يُكْرِمُكَ، ولَا تَدَعَهُ يَسْبِقُ إِلَى مَكْرُمَةٍ، فَإِنْ سَبَقَ كَافَأْتَهُ، وتَوَدَّهُ كَمَا يَوَدُّكَ وتَزْجُرَهُ عَمَّا يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وكُنْ عَلَيْهِ رَحْمَةً ولَا

تَكُنْ عَلَيْهِ عَذَاباً ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الشَّرِيكِ: فَإِنْ غَابَ كَافَيْتَهُ[1] وإِنْ حَضَرَ رَعَيْتَهُ، ولَا تَحْكُمُ دُونَ حُكْمِهِ ولَا تَعْمَلُ بِرَأْيِكَ دُونَ مُنَاظَرَتِهِ، وتَحْفَظُ عَلَيْهِ مَالَهُ ولَا تَخُنْهُ[2] فِيمَا عَزَّ أَوْ هَانَ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ تَبَارَكَ وتَعَالَى عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَنَا، ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وأَمَّا حَقُّ مَالِكَ: فَأَنْ لَا تَأْخُذَهُ إِلَّا مِنْ حِلِّهِ ولَا تُنْفِقَهُ إِلَّا فِي وَجْهِهِ ولَا تُؤْثِرَ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ لَا يَحْمَدُكَ، فَاعْمَلْ بِهِ بِطَاعَةِ رَبِّكَ ولَا تَبْخَلْ بِهِ فَتَبُوءَ بِالْحَسْرَةِ والنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَأَمَّا حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي يُطَالِبُكَ: فَإِنْ كُنْتَ مُوسِراً أَعْطَيْتَهُ، وإِنْ كُنْتَ مُعْسِراً أَرْضَيْتَهُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ، ورَدَدْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ رَدّاً لَطِيفاً.

وَحَقُّ الْخَلِيطِ: أَنْ لَا تَغُرَّهُ ولَا تَغُشَّهُ ولَا تَخْدَعَهُ وتَتَّقِيَ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ.

وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ: فَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِيهِ عَلَيْكَ حَقّاً كُنْتَ شَاهِدَهُ عَلَى نَفْسِكَ ولَمْ تَظْلِمْهُ وأَوْفَيْتَهُ حَقَّهُ، وإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِي بَاطِلًا رَفَقْتَ بِهِ ولَمْ تَأْتِ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ الرِّفْقِ ولَمْ تُسْخِطْ رَبَّكَ فِي أَمْرِهِ، ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

---

(١) في المصدر- كفيته.

(٢) في نسخة- تخونه (هامش المخطوط).

وَحَقُّ خَصْمِكَ الَّذِي تَدَّعِي عَلَيْهِ: إِنْ كُنْتَ مُحِقّاً فِي دَعْوَاكَ أَجْمَلْتَ مُقَاوَلَتَهُ ولَمْ تَجْحَدْ حَقَّهُ، وإِنْ كُنْتَ مُبْطِلًا فِي دَعْوَاكَ اتَّقَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ وتُبْتَ إِلَيْهِ وتَرَكْتَ الدَّعْوَى.

وحَقُّ الْمُسْتَشِيرِ: إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ رَأْياً حَسَناً أَشَرْتَ عَلَيْهِ، وإِنْ لَمْ تَعْلَمْ لَهُ أَرْشَدْتَهُ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ.

وَحَقُّ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ: أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ فِيمَا لَا يُوَافِقُكَ مِنْ رَأْيِهِ وإِنْ وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ.

وَحَقُّ الْمُسْتَنْصِحِ: أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ النَّصِيحَةَ ولْيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرَّحْمَةَ لَهُ والرِّفْقَ[1].

وَحَقُّ النَّاصِحِ: أَنْ تُلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ وتُصْغِيَ إِلَيْهِ بِسَمْعِكَ فَإِنْ أَتَى بِالصَّوَابِ حَمِدْتَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ وإِنْ لَمْ يُوَافِقْ[2] رَحِمْتَهُ ولَمْ تَتَّهِمْهُ وعَلِمْتَ أَنَّهُ أَخْطَأَ ولَمْ تُؤَاخِذْهُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِقّاً لِلتُّهَمَةِ فَلَا تَعْبَأُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى حَالٍ، ولَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَحَقُّ الْكَبِيرِ: تَوْقِيرُهُ لِسِنِّهِ وإِجْلَالُهُ لِتَقَدُّمِهِ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَكَ وتَرْكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ، ولَا تَسْبِقَهُ إِلَى طَرِيقٍ ولَا تَتَقَدَّمَهُ ولَا تَسْتَجْهِلَهُ،

(١) في المصدر زيادة- به.

(٢) في المصدر- يوفق.

وإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ احْتَمَلْتَهُ وأَكْرَمْتَهُ لِحَقِّ الْإِسْلَامِ وحُرْمَتِهِ.

وَحَقُّ الصَّغِيرِ: رَحْمَتُهُ (مَنْ نَوَى)[١] تَعْلِيمَهُ والْعَفْوُ عَنْهُ والسَّتْرُ عَلَيْهِ والرِّفْقُ بِهِ والْمَعُونَةُ لَهُ.

وحَقُّ السَّائِلِ: إِعْطَاؤُهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ.

وحَقُّ الْمَسْئُولِ: إِنْ أَعْطَى فَاقْبَلْ مِنْهُ بِالشُّكْرِ والْمَعْرِفَةِ بِفَضْلِهِ، وإِنْ مَنَعَ فَاقْبَلْ عُذْرَهُ.

وَحَقُّ مَنْ سَرَّكَ لِلَّهِ تَعَالَى[٢]: أَنْ تَحْمَدَ اللَّهَ عَزَّ وجَلَّ أَوَّلًا ثُمَّ تَشْكُرَهُ.

وَحَقُّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ: أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُ وإِنْ عَلِمْتَ أَنَّ الْعَفْوَ يَضُرُّ انْتَصَرْتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ولَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِكَ ما عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾[٣].

وَحَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ: إِضْمَارُ السَّلَامَةِ والرَّحْمَةِ لَهُمْ والرِّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ وتَأَلُّفُهُمْ واسْتِصْلَاحُهُمْ وشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ وكَفُّ الْأَذَى عَنْ مُسِيئِهِمْ[٤]، وتُحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ، وأَنْ تَكُونَ

(١) في نسخة – في (هامش المخطوط).
(٢) في نسخة – سرك اللّه به (هامش المخطوط).
(٣) الشورى ٤٢– ٤١.
(٤) في المصدر– عنهم.

شُيُوخُهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَبِيكَ وشَبَابُهُمْ بِمَنْزِلَةِ إِخْوَتِكَ وعَجَائِزُهُمْ بِمَنْزِلِ أُمِّكَ والصِّغَارُ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَوْلَادِكَ.

وَحَقُّ الذِّمَّةِ: أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا قَبِلَ اللَّهُ عَزَّ وجَلَّ مِنْهُمْ، ولَا تَظْلِمَهُمْ مَا وَفَوْا لِلَّهِ عَزَّ وجَلَّ بِعَهْدِهِ.

1





حق اللَّه عزّ وجل وحق النفس





حق الله

أشار المرحوم المحدث الكبير الشيخ العاملي قدس سره في كتابه (وسائل الشيعة) في الباب الثالث من أبواب جهاد النفس، أشار بشكل مختصر إلى رسالة الحقوق المروية عن الإمام زين العابدين عليه السلام، وفي هذه الرسالة الشريفة توضيح لواجبات ومسؤوليات الإنسان تجاه ربه ونفسه والآخرين.

فكما أن الإنسان يلقي بظله على الآخرين ويدفعهم إلى تحمله، وكما يدعي لنفسه حقوقاً عليهم؛ كذلك عليه أن يعلم في الوقت ذاته بأن هناك حقوقاً للآخرين عليه، فيتحمل مسؤوليته، ويتقبل الناس ويستوعب حقوقهم، وهذا بعد من أبعاد الإيمان.

فالاعتراف والإيمان بوجود أشياء أخرى في الحياة، يعني الاعتراف بأن لتلك الأشياء حقوقاً عليّ؛ فمثلاً حين نقول: أن النار حق، والموت حق، ومساءلة منكر ونكير حق، وغير ذلك مما نؤمن به؛ فليس المقصود هو سرد الحقائق في قائمة مطوَّلة، بل معنى كون النار حقاً هو أن نخافها ونحذرها، وكون الجنة حقاً هو أن نرجو امتلاكها وورودها، وهكذا بالنسبة لسائر الحقائق.

فإذا صدق المرء بهذه الحقائق وآمن بها، فعليه بعد ذلك أن يشمّر عن

ساعديه بصورة جدية للعمل وفق متطلباتها، لأن قبول الحق لا يعني مجرد لجوئنا إلى الدعاء في بعض الأحيان بأن نقسم على الله سبحانه وتعالى ببعض تلك الحقوق، أو أن نقسم عليه أي بحق كل ذي حق عليه، ثم لا نقوم بعمل شيءٍ سوى ذلك.

حق الله قبل كل شيء

في مطلع رسالة الحقوق يقول الإمام زين العابدين عليه السلام:

«حَقُّ اللَّـهِ الْأَكْبَرُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْبُدَهُ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»[1]

إن حق الله على عبده هو أن يعبده ولا يشرك به شيئاً، وإن العبادة ليست إلا التسليم لله عز وجل. فإذا نمت هذه القناعة والحالة الروحية في الإنسان، فإنه وإن أذنب وأخطأ بين الحين والآخر، فإن الأمل في صلاحه وإصلاحه سيبقى قائماً، شريطة ألا يكون الأصل في نيته وسلوكه هو تعمد ارتكاب الذنب ووجود الرغبة العارمة فيه؛ بل يجب عليه أن يخلص ويصفي نيته أيضاً فلا يخلط بين الله وغيره، فلا يلفق أو يخلط مثلاً بين الزيارة للمسجد النبوي مثلاً والسياحة، أو الحج والتجارة، فيؤديهما بنية واحدة في نفس الوقت، لأنه والحال هذه سيصطدم بمشكلة كبيرة، هي الرياء والنفاق، ولذلك كان عليه القيام بكل واحد من العملين الأخروي والدنيوي منفصلاً عما سواه في الباعث لخصوص العمل الأخروي.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١ كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، الباب ٢، ص ١٣٢ (وهكذا ننقل كل نصوص رسالة الحقوق في هذا الكتاب من المصدر المشار إليه، وهناك نصوص أخرى لهذه الرسالة تختلف مع هذا النص في بعض العبارات مذكورة في بحار الانوارج ٧١، وتحف العقول).

حق الله الأكبر

إذن، ينبغي أن يصل المؤمن عبر العبادة والتسليم لله إلى مرتبة يتيقن فيها أن الله جل جلاله هو مسبِّب الأسباب. فحينما يتوجه المريض إلى الطبيب، عليه أن يعتقد أن الشفاء بيد الله، وهذا التعبير له مصداقية واسعة في العرف، حيث يخاطب الطبيب بالقول: أنت أملي بعد الله، وهو تعبير مقبول ولا إشكال فيه.

ثم إن المؤمن إذا ما زلّ في خطابه فيما يخص ربط الظواهر المختلفة بأسباب وعلل ثانوية غير الله عز وجل فليس بعيداً أن يسقط في فخ الشرك الخفي.

فالفرد يجب أن يتوخى الحذر الشديد، وأن يكون دقيقاً للغاية في أمر عبادته لله سبحانه وتعالى، وأن لا يخلط في حوافزه أو حبه أو بغضه بين الله وبين غيره من المخلوقات. فالأب، ورب العمل،والحاكم، والأجداد وسائر العناصر الحقيقية والاعتبارية يجب أن لا تغنيه عن الله جل اسمه، فإذا بلغ الإنسان هذه الدرجة الصالحة كان لله أن يكفيه ما أهمّه، لأنه قد توكل عليه دون غيره.

فحينما يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**حَقُّ اللَّـهِ الْأَكْبَرُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْبُدَهُ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلَاصٍ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»[1].

فإن يعني أن على الإنسان أن يصل إلى مستوى درك الحقيقة القائلة بأنه لن ينال منفعة إذا سار في طريقٍ غير طريق الله. فهو ملزم بأن يسعى ويسعى

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٢.

على أمل الوصول إلى الينبوع الأصيل لخزائن الله الأزلية، فيترك في هذا المسير التوافه، ويهجر الزوائد التي ينالها من هنا وهناك، وعند ذاك فقط سيلبي الله له حاجاته ويسهل عليه المسيرة ويدلّه على الطريق.

فحتى في أبسط المسائل والقضايا المعاشية اليومية، يجب أن يعتقد الإنسان بأن الله هو الذي يسد جوعه، وإن كان يستلم اللحم من يد القصاب مثلاً.

الخضوع لله وحده

فإذا ما أعطاك رئيسك في العمل قرضاً، فلا يستلزم ذلك أن تشعر بالمديونية تجاهه أكثر مما يستحق الأمر، فتخضع أو تتخضع له، وإن كنت تشعر أو تعلم قطعاً برغبته في أن تتخضع له، فعليك أن تغض الطرف عن مثل هذا القرض، وإن كلفك ما كلفك. فالله تبارك وتعالى هو الذي سيسد احتياجك.

وطبعاً فإن الله ينفّذ إرادته بواسطة ما وضع من وسائل، ولا إشكال أن نتوسل نحن بهذه الوسائل، ولكن يجدر بنا ألا نعتبر الوسائل أكثر من كونها وسائل، فلا يصح أن نتخذها هدفاً أو سبباً أصلياً.

فالله جل جلاله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، وهو الرزاق والشافي والكافي.

حقّ النفس

تشبه طبيعة النفس الإنسانية وإلى حدٍ كبير طبيعة السيارة، كما يشبه الإنسان قائد هذه السيارة، فلا ينبغي أن تقاد السيارة إلى أي اتجاه، بل يجدر أن تقاد سيارة النفس في المسير الإلهي، وأن تستهلك عجلاتها وأجهزتها من أجل الله عز وجل دون سواه.

وهذا الأمر المطلوب تحققه منوط بأن يتحكم الإنسان بنفسه، فلا يكلها لغير الله. وعليه؛ فاللازم إخضاع جميع أعضاء البدن لسيادة العقل، وألا يعزف جزء من تلك الأعضاء معزوفة الاعتراض والرغبة في الانفصال عن هذه السيادة.

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَحَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْتَعْمِلَهَا بِطَاعَةِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٢.

حق اللسان

ثم يبيّن الإمام السجاد عليه السلام حق اللسان؛ باعتباره من أهم أعضاء الإنسان، فهو أقرب الأعضاء إلى القلب، حيث تتجلى وتتجسد فيه مختلف الحالات والمشاعر والانفعالات؛ فلا يصح أن يتلفظ اللسان ببذي ء الكلام، أو يغتاب أحداً، وليعلم أن اللسان من الأعضاء التي قد تشتكي صاحبها في يوم القيامة.

يقول الإمام عليه السلام: «**وَحَقُّ اللِّسَانِ إِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَا وَتَعْوِيدُهُ الْخَيْرَ وَتَرْكَ الْفُضُولِ الَّتِي لَا فَائِدَةَ لَهَا وَالْبِرَّ بِالنَّاسِ وَحُسْنَ الْقَوْلِ فِيهِمْ**»[1].

فالبعض من الناس متعودون على التشكي والتأوه بألسنتهم بمجرد دخولهم البيت، وهناك من يرى النقاط الإيجابية في الآخرين، فتلهج ألسنتهم بالثناء على فضائل الناس ومحاسنهم، فحينما يدخل البيت يبدأ بالسلام ويعلن احترامه، ثم يقول بكل لطف ولين: ما أنظف هذا البيت وما أروع ترتيبه، وإذا وضعتم لوحة خط بكلمة «**لا إله إلا الله**» مثلاً على الجدار المقابل كان ذلك جيداً، وإذا وضعتم المرآة في الجانب الفلاني للبيت تضاعف جمال البيت.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص١٣٢ـ ١٣٣.

لاحظوا؛ إنه من الممكن لنا أن نخلق الأمل في الحياة لدى الآخرين، وأن نكرس المحبة والألفة في قلوبهم، وأن نقلع جذور الخصام والحقد من بينهم. كل ذلك من الممكن إنجازه وبيسر بالغ بواسطة اللسان؛ هذا العضو الصغير الكائن في فضاء الفم.

فالإنسان بمستطاعه أن يكون سبباً للخير في دقائق معدودة يمكث خلالها في سيارته، ويبدأ بتحريك لسانه بهذا الاتجاه، فينصح صديقه الجالس إلى جانبه بالزواج وتشييد صرح الأسرة أو انتخاب العمل المناسب وأمثال ذلك، فيجر صديقه المستمع إليه إلى واقع أفضل.

فالأشخاص الدقيقون لا يضيعون الفرصة على أنفسهم في كيفية توجيه النصح للآخرين، فحتى لو كانوا مستلقين على فراشهم في حلكة الليل، فهم يفكرون فيما ينبغي أن يؤدوه من النصح للآخرين غداً، فيكون ذلك النصح مفيداً لهم في الدنيا والآخرة.

وقد كان أحد مراجع التقليد الكرام ينقل لنا؛ إن أفراداً كانوا يقصدونني، وأثناء حديثي معهم أقترح عليهم اقتراحاً معيناً، ثم أودّعهم ويودعونني، فيغيبون عني، وأنساهم، ثم بعد عدة سنوات التقي شخصاً، فيذكرني بأنه أحد الأشخاص الذين تحدثت إليهم واقترحت عليهم ما اقترحت في زمن سالف. ثم يؤكد لي أنه قد عمل باقتراحي ووصل إلى حيث وصل، مبدياً سعادته ورضاه إزاء ما بلغ وحقق، فمثلاً كنت قد نصحته بأن يكتب كتاباً، فسارع في التأليف وواصل نشاطه وكرس ثقافته حتى صار ذا باع في هذا المجال، أو كنت قلت له بأن يبني مسجداً أو حسينية، فقام بذلك.

وإنه لمن المفرح جداً أن يقترح المرء على الآخرين بلسانه اقتراحات عملية يطبقونها فيما بعد، فيكون له سهم وحصة فيما يحصلون عليه من

الأجر والثواب.

إن الخبراء باتوا يعتقدون اليوم بأن ساعة من التحدث تعادل ثمان ساعات من العمل، وأن لهما تأثيراً متساوياً على الأعصاب، وأنا بدوري حينما ارتقي المنبر وأمارس عملية الخطابة، أشعر بالتعب والإرهاق المفرط، بحيث يؤثر تأثيراً سلبياً على استراحتي، مما يدل على أن عملية تحريك اللسان والتركيز تستنفذ طاقة كثيرة من المتحدث، ولذلك كان من المؤسف بمكان أن تصرف هذه الطاقة بصورة سلبية عشوائية، بل لابد أن تؤخذ الحكمة المعروفة لكل مقام مقال بعين الاعتبار، وأن يراعي الإنسان الحذر من التكلم بما لا ضرورة فيه.

فالإنسان لابد أن يكون على يقين بأن الكلمات الصادرة عنه تكتب من قبل الملائكة الكرام الكاتبين وفقاً لصريح القرآن ثم يحاسب عليها في يومٍ من الأيام.

ومن الطريف أننا نجد في بعض البلدان طريقة للاتصالات التلفونية العامة، حيث تسقط القطع النقدية المعدنية التي يضعها المتحدث في الجهاز، تسقط في وعاء زجاجي، فكلما استغرق المتحدث بالاتصال، كلما طلب منه، أو وجد نفسه ملزماً لأن يضع قطعة نقدية جديدة في الوعاء، فيكون بمقدوره أن يرى مقدار النقد الذي وضعه ليكون ثمناً لحديثه واتصاله.

لقد اعتدنا إطالة الأحاديث غير اللازمة، دون علم منّا كم تكلفنا أحاديثنا، وكم ستسبب لنا من المشاكل والإحراجات عند الجواز على الصراط في يوم القيامة !

إن واحدة من الوظائف الأساسية المتعلقة باللسان هي خدمة الناس عن

طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير والإصلاح، والترحيب الطيب، وإرشاد الجاهلين، وغير ذلك.

وقد يتسبب اللسان في إثارة حالة الخجل والاستحياء لدى أحد الأشخاص جراء عدم رعاية أصول الأدب الصحيح، في حين إن الكلمة الطيبة وبث روح السعادة والارتياح في الآخرين من الموارد التي يمكن أن يؤدي اللسان فيها وظيفته المطلوبة. وقد ورد في القرآن الكريم أن هناك من يتصدق ثم يُتبع صدقته بالمن وإيذاء الفقراء والمساكين، بينما القول المعروف باللسان الطيب المقترن باللطف والرحمة أفضل وأنفع من الصدقة التي يتبعها الأذى للمساكين والفقراء. قال الله تعالى: ﴿**قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ**﴾[1].

إن من وظائفنا أن نفتح ملفاً بفضائل الآخرين وأعمالهم الطيبة، ثم نقوم بنشرها هنا وهناك، لأن مثل هذه العملية تضاعف جاذبيتنا، ولكن نشر المساوى ء بالإضافة إلى أنها تبعث على الكسل والخمول ستنتهي إلى ابتعاد الآخرين عنّا.

حقوق عامة

إذا رغب إنسان في تناول فاكهة كالبرتقال، فهو في واقع الأمر لا يحب هذه الفاكهة لذاتها، بقدر ما يرغب في اللذة التي يشعر بها وتتوفر لديه أثناء تناوله البرتقال، فإذا قال الإنسان: إنه يحب البرتقال فهو يعني أنه يحب ذاته ولذته.

بينما الحب الواقعي ليس لأن الطرف الآخر (**المحبوب**) يفيد الإنسان، بل إن الحب الواقعي قد يستلزم في كثير من الأحيان أن يضحي الإنسان

(١) سورة البقرة، آية: ٢٦٣.

بملذاته الشخصية، بل وبأعز الأشياء إليه من أجل المحبوب. فالحب الحقيقي هو الذي يحطم سجن الأنانيات الضيقة، ويبدد ظلمات الذاتيات وهذه المسألة مهمة جداً، فإذا ما حلت؛ حلت معها سائر مشاكل الإنسان.

فإذا كان الإنسان محباً حقيقياً للمحبوب الحقيقي، وهو الله، فإنه سيهتم بسائر الموجودات في العالم، ولن يكون الأمر حكراً على توطيد علاقته بالأنبياء والأئمة عليهم السلام، والقيم الدينية كالجنة والنار والملائكة والجن والإنس فحسب، وإنما سيتعامل على أساس المحبة مع سائر الملل والأقوام والأشخاص، بل إن علاقته حتى بالحيوانات والجمادات ستتأكد وستسمو.

إن المؤمن يعتبر أن للأرض حقاً عليه أيضاً، وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**اتقوا الله، عباد الله، في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن بقاع الأرض والبهائم...**»[1]. وأنا اعتقد أن الأرض التي لا أزرعها ولا أحييها، وأنا قادر على ذلك، ستتقدم بالشكوى ضدي في يوم القيامة.

وللفقهاء في كتاب النكاح باب خاص بالنفقات، وكان هذا الباب صغير الحجم بادى ء الأمر، لكنهم أخذوا بتوسيعه شيئاً فشيئاً، فأضافوا إليه بحث نفقة الأولاد والأقارب والعبيد والخدم وغير ذلك، ثم توسعوا أكثر من ذلك حتى بحثوا موضوع النفقة على الحيوانات ورصد حقوقها، فيما تحدث فقهاء آخرون بخصوص نفقة الأشجار والنباتات المملوكة للإنسان.

وعموماً؛ هناك مباحث مطولة فيما يتعلق بالحقوق الملقاة على عاتق

(١) بحار الأنوار، ج ٣٢، ص ٩.

الإنسان، حتى أنه جاء في الروايات أن للمساجد حقوقاً خاصة، وإذا لم ترع هذه الحقوق أو تؤدّى جاءت يوم القيامة تشكو الناس إلى الله تعالى، وقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «**ثَلَاثَةٌ يَشْكُونَ إِلَى اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ مَسْجِدٌ خَرَابٌ لَا يُصَلِّي فِيهِ أَهْلُهُ وَعَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ وَمُصْحَفٌ مُعَلَّقٌ قَدْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ لَا يُقْرَأُ فِيهِ.**»[1].

التسليم والرضى شرط الإيمان

وهنا أريد أن أربط بين هذا الموضوع وبين مسألة الإيمان فأطرح هذا التساؤل:

ما هو السبب في أن يحكم على الإنسان بجهنم إذا لم يصدق بواحد من الأنبياء أو الأئمة المعصومين عليهم السلام، أو لم يؤمن بحقيقة جزئية؟ !

يبدو أن سبب ذلك هو أنه لا معنى لأن يؤمن الفرد بحقيقة معينة ثم يطرد ما يشبهها من دائرة إيمانه، فلا مبرر أبداً لأن يؤمن الإنسان بالإمام الحسن عليه السلام دون الإمام الحسين عليه السلام. فالقيم والمقدسات هي عبارة عن حلقات متصلة ولا يمكن تفكيكها بحال من الأحوال، وعليه، فإن الإيمان بالإمام الحسين عليه السلام لابد له من أن يختزل بين طياته الإيمان بالإمامين الصادق والهادي عليهما السلام مثلاً.

أما الحالات التي يعمد فيها المرء إلى التفكيك وتجزئة إيمانه، فيمكن أن يكون للمنافع والمصالح الفردية والأنانية علاقة بالأمر، فتراه يقبل ما يتطابق مع ميوله الشخصية، ويسميه إيماناً بالله وصيانةً للقيم الدينية، في حين أنه إذا أجرينا عملية تشريح لهذا النوع من الإيمان، علمنا أنه يريد

(١) وسائل الشيعة، ج ٣، ص ٤٨٣.

حيازة ونيل الدنيا عن طريق الدين، ولذا لن تبقى قيمة تذكر لمثل هذه الحالة التي يسميها صاحبها إيماناً، لأنه سوف يكفر بكل القيم والحقائق إذا وجدها لا تحقق آماله وطموحاته الشخصية، وقد قال سبحانه وتعالى: ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِيْنَ**﴾[1].فما هو حق في ذمة الإنسان يجب أن يكون مقبولاً من جانبه على الأقل، ولهذا؛ كان التسليم لله شرط الإيمان الأساسي.

(١) سورة الحجر، آية: ٩١ -٩٢.

حق الأذُن

وفيما يخص حق الأُذُن؛ يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَحَقُّ السَّمْعِ تَنْزِيهُهُ عَنْ سَمَاعِ الْغِيبَةِ وَسَمَاعِ مَا لَا يَحِلُّ سَمَاعُهُ**»(١).

في هذه الفقرة تطرق الإمام زين العابدين عليه السلام إلى الجانب السلبي من بحث الاستماع وحق الأُذُن.

وليعلم أننا قلما نجد من بين جميع جوارح الإنسان جارحة لا تمتاز بحالات من الانقباض والانبساط. فالعين لها غشاء متحرك يستطيع أن يمنع النظر، والشفاه من شأنها التغطية وإغلاق الفم، وكذلك الأعضاء البدنية الأخرى لها مثل هذه الحالة.

ومن بين الأعضاء تبقى الأذن مجردة عن قابلية الانقباض والانبساط بشكل تلقائي. وعلى هذا؛ يجب على الفرد نفسه أن يحافظ على أذنه، فإذا حضر في مجلس تمارس فيه موبقة الغيبة، فإن عدم السماع في مثل هذه الحالة يكون أمراً صعباً جداً، فإذا شخص أمامه ما يحرم عليه النظر إليه، فإن من اليسير عليه إطباق أجفانه حياله، ولكن الأذن ليس لها مثل هذه القابلية، باعتبارها مفتوحة دائماً.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٣.

فمثل ما نحافظ على سلامة الأذن وصحتها، كذلك ينبغي أن نحول فيما يخصها من الوجهة المعنوية دون تعرضها للتلوث ودخول الآفات التي تتعرض لها الأذن.

حق العين

ثم يقول الإمام السجاد عليه السلام عن العين: «**وَحَقُّ الْبَصَرِ أَنْ تَغُضَّهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ وَتَعْتَبِرَ بِالنَّظَرِ بِهِ**»[1].

علينا أولاً أن نؤدي حق العين عن طريق الإغماض عن المحرمات، ثم ثانياً عن طريق الاعتبار بما ننظر إليه.

مثلاً؛ حينما ننظر بها إلى الشجرة المقابلة لنا، علينا ان نعتبر ونقول: الله الذي هو أرحم الراحمين قد أعطى هذه الشجرة كل ما يلزمها. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾[2].

فحينما ننظر إلى شجرة التفاح سنشاهد خصائص لا تحصى قد أعطاها الله، كاللون الجميل، والأغصان المرتبة، والرائحة العطرة، وأمثال ذلك.

فإذا كان الله تبارك وتعالى قد أعطى للفاكهة مثل هذا اللطف والتفضل، فكم من النعم قد أعطى الإنسان الذي هو أشرف وأحسن المخلوقات؟

إن الإنسان حينما يسير هنا وهناك، ويقع نظره على المناظر الخلابة والمتنوعة، فإن بعض خواصها سيجذبه إلى حد قد لا يتمالك فيه نفسه

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٣.

(٢) سورة السَّجدَةِ،آية:٧.

ولا يسع لسانه إلا أن يلهج بالتكبير والتسبيح. وهذه الحالة لوحدها حالة قيّمة، وهذه هي نظرة الاعتبار التي أشير إليها في أكثر من نص ديني. فإذا رأى الإنسان شخصاً معاقاً أو عاجزاً، وقاسه إلى نفسه، وشكر ربه على ما أنعم عليه من أعضاء سالمة، فإنه سيصل بهذه النظرة وهذا الشكر إلى منزلة الشاكرين الحامدين لربهم.

ولا شك أن كل واحد منكم صادفه أن دخل إحدى المستشفيات لإنجاز بعض المهمات، وكنتم تصادفون مواقف فيها عبرة كبيرة بالنسبة لكم حتى تتنبهوا لنعم الله التي تغطي كل حياة الإنسان،وبالمجان.

وذات مرة كنت قصدت أحد المراكز الصحية، فقيل لي بأن أكثر المراجعين مصابون بداء الكآبة والملل جراء الضغوط التي يتعرضون لها في حياتهم، وهذا المرض النفسي وأمثاله لا يقل خطراً أو ضرراً من الأمراض الجسمانية.

ومن الطبيعي أننا إذا التقينا هؤلاء الأفراد شكرنا الله سبحانه وتعالى على سلامتنا من هذا المرض، وهذا الشكر هو نتيجة نظرة الاعتبار التي نبحثها، ولعل مصاديق هذه النظرة عديدة للغاية، وإذا تسلح الفرد بهذه النظرة استطاع الحصول على الإيمان في كل خطوة يخطوها في حياته.

حق البطن

وفيما يخص حق البطن، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَحَقُّ بَطْنِكَ أَنْ لَا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِلْحَرَامِ وَلَا تَزِيدَ عَلَى الشِّبَعِ**»[1].

إن وظيفتنا تجاه البطن هي ألا نتصرف بطريقة تؤدي إلى إمتلائه من نار جهنم يوم الجزاء، فهذا البطن لا ينبغي أن يُملأ من أي شي ءٍ. فالحقيقة تشير إلى أن البطن إذا كان بحاجة إلى وجبة غذائية تزن كيلو غراماً واحداً، وأسرف صاحبه في تناول الغذاء بداعي الحرص والولع فأضاف إلى ما يحتاج مائة غرام فقط. فهو يكون قد أسرف ما مقداره كيلو ومائة غرام، لأن كل الطعام الذي دخل جوفه سيكون وبالاً عليه بدلاً من أن يعود عليه بالفائدة.

وقد ورد في الحديث عدم صحة تناول طعام ما إذا كانت المعدة مليئة، ولعل سبب أكثر الأمراض التي يبتلى بها الإنسان، هو عدم وجود منهجية غذائية صحيحة.

وقد قرأت في إحدى سفراتي إلى سوريا تحقيقاً طبياً قام به أحد الأطباء

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٣.

على أنواع الأمراض المنتشرة في أميركا، حيث أكد التحقيق أن سبب أكثر الأمراض شيوعاً هو الإسراف في تناول الطعام.

وقد أشارت نتائج التحقيق والإحصاء إلى أن الأميركيين يبتلعون حوالي خمسة وعشرين مليون من أقراص الدواء سنوياً، لخفض أوزانهم فقط، وهم يضطرون من أجل ذلك إلى صرف ملايين الدولارات .

كما أكد أحد الكتاب الأميركيين في هذا المجال أن الطريقة الوحيدة لمعالجة أمراض الأميركيين هو الصوم، إذ أشار إلى أن صوم يومين في الأسبوع، وصوم شهر واحد في السنة كفيل بتوفير الراحة لنظام وجهاز الهضم لدى الإنسان وتخليصه مما يصاب به من أمراض وحالات غير صحيحة.

حق النفس قبل حقوق الآخرين

إن واحداً من مصاديق وتجليات الإيمان، هو الاعتراف بحق الآخرين واحترامه، ولا يمكن أن نحترم حقوق الآخرين وحرمتهم إلا عن طريق الاعتراف بأن لهم حقوقهم، كخطوة أولى، ثم استيعاب هذه الحقوق والمحافظة عليها.

فالإنسان يجب أن يسلم بأن الحق الأول المتعلق بذمته، هو حق الله سبحانه وتعالى عليه، ثم يتوجه إلى حقوق نفسه عليه. ومن هنا أكد الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق أن على الإنسان أن يهتم أولاً بحق الله عليه، ثم بحق نفسه عليه.

الحقيقة هي أن الفرد إن لم يحترم حق نفسه، فلن يتمكن من احترام حق

غيره.ترى ما هو حق الإنسان تجاه نفسه؟ !

هناك حق كليٌّ عام، وهو ضرورة الاستفادة من حق الجسم وسائر الإمكانات التي أنعم الله بها على الإنسان؛ بل وحتى اقتناص الفرص المتاحة أمامه باعتبارها رأسماله الذي لا يحق له أن يضيعه.

فكل واحد من أعضاء البدن يجب أن يكون تحت رقابة الفرد، وهو الطرف الملزم بالمحافظة عليها.

فعلى الفرد أن يعرف ما هو حق اللسان، وماذا يتوقع منه، هذا العضو الصغير الحجم؛ العظيم الخطر.

إن حق اللسان على الإنسان احترامه، وعدم استخدامه في تافه الكلام ولغو الحديث، فضلاً عن الامتناع عن السبّ والفحشاء. فهذا العضو من الممكن أن يسير ضمن طريق الحق والخير، وأن يعوّد على الاقتصاد في الكلام إلا المفيد منه. وقد ورد في الحديث وجوب ترك الفضول، مما يعني وجوب تحريك اللسان بقدر الحاجة اللازمة.

وعضو الإنسان الآخر هو الأذن التي لابد أن تنزه وتصان عن الآفات، وأن تمنع عن سماع الغيبة، وتعمد سماع الكلام الحرام.

ومن المؤسف أننا نرى في الحال الحاضر بعض المؤمنين يعمدون إلى بث نوع من الموسيقى لدى انتظار الآخرين لهم على خط الهاتف، ولكن أليس من الممكن أن يستعاض بقراءة القرآن عن الموسيقى لهذا الغرض؟ !

ولكن المؤسف هو أن هناك مساعٍ تهدف إلى بث الموسيقى بأي شكل

من الأشكال ودفع آذان الناس إلى سماعها قسراً.

أما العضو المهم الآخر للإنسان هي العين، فهي لها حقوق خاصة أيضاً. فالله حينما زَوَّد العين بالأجفان، فمعنى ذلك أن العين ستشتكي الإنسان في يوم القيامة إذا لم يستخدم الأجفان للحيلولة دون النظر الحرام.

الحصن في القرآن الكريم

تعلمون أن الناس لكي يتمكنوا من الدفاع عن أموالهم وممتلكاتهم، يتحصنون ويضعون الموانع والعقبات على الحدود ليصدوا عدوهم عن النفود إلى داخل بلدهم أو مدينتهم، ولكن الفرد إذا كان عاجزاً عن مواجهة عدوه بشكل مباشر، كان حرياً بأن يسد الطريق على عدوه مِن بُعد، وأن يضع في مواجهته الموانع.

وعلى صعيد الجانب المعنوي يكون الوضع على المنوال نفسه، فيجب أن نحصن أنفسنا ونعبئها حتى نمنع الشيطان من دخول بيوتنا، فإنه إن دخلها أصبح من الصعب إخراجه منها أو مواجهته فيها على الأقل.

وطالما استفاد القرآن الكريم من مصطلح (**الحصن**) فيما يتعلق بالسيطرة على الشهوة الجنسية، ومثال ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللّهِ عَلَيْكُمْ**﴾[1].

ولهذا النوع من الاستفادة القرآنية سرٌّ خاصٌّ، بمعنى ضرورة أن يحيط الفرد المؤمن قلبه بحصن منيع، فإذا أراد التميّع وعدم الاحتياط، وأن يتمنى مجرد أمنية الفوز على الشيطان الرجيم، فإنه سوف يفتح عينيه ذات يوم فلا

(١) سورة النساء، الآية: ٢٤.

يرى إلا عجزه تجاه السيطرة على نفسه الأمارة، في حين يتوجب عليه أن يبدأ من الخطوة الأولى، فيغض بصره عن النظر الحرام، فلا يرى المناظر والصور المثيرة المهيجة، ولا يسمح لها بالدخول إلى حريم النفس.

ولتعلم أيها الأخ المؤمن أنه لم يُقل عبثاً: «**إن النظر الحرام شعبة من شعب الزنا**»[1].

(١) عَنْ أَبِي جَمِيلَةَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ وَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع قَالا مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَ هُوَ يُصِيبُ حَظّاً مِنَ الزِّنَا فَزِنَا الْعَيْنَيْنِ النَّظَرُ وَ زِنَا الْفَمِ الْقُبْلَةُ وَ زِنَا الْيَدَيْنِ اللَّمْسُ صَدَّقَ الْفَرْجُ ذَلِكَ أَوْ كَذَّبَ. وسائل الشيعة، ج٢٠، ص: ١٩١.

2





حقوق العبادات





حق الصلاة علينا

يقول الإمام السجاد عليه السلام حول حق الصلاة على الإنسان: «**وَحَقُّ الصَّلَاةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وِفَادَةٌ إِلَى اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ فِيهَا قَائِمٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّـهِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ قُمْتَ مَقَامَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الْحَقِيرِ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ الرَّاجِي الْخَائِفِ الْمُسْتَكِينِ الْمُتَضَرِّعِ الْمُعَظِّمِ لِمَنْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْوَقَارِ وَتُقْبِلَ عَلَيْهَا بِقَلْبِكَ وَتُقِيمَهَا بِحُدُودِهَا وَحُقُوقِهَا**»[1].

وقد ورد في الحديث الشريف ضرورة الاهتمام بالوضوء وإسباغه إذا ما أراد المرء الحصول على حالة الخضوع والخشوع في صلاته. ولا ريب في أن الإنسان إذا قصد الله سبحانه وتعالى في وضوئه،فستلازمه حالة الإخلاص والعبودية في الصلاة، فإن الوضوء الكامل هو مقدمة لازمة للصلاة الكاملة.

كما إن الخضوع في الصلاة وحضور القلب والتوجه إلى الله سبحانه وتعالى هو شرط أساسي لكمال الصلاة.

أما إذا كان المصلي منشغلاً في صلاته أو في لحظة دخولها بالقضايا المادية واليومية، فإنه سيصاب بالعجز عن تركيز وضبط ذهنه وحواسه في

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٣.

إطار التوجه إلى الله تعالى.

إن المهم في الأمر هو إيجاد حالة من الاستعداد النفسي والروحي قبل الصلاة وأثناء الدخول فيها.

فإذا نال الإنسان هذه الرتبة، وإذا امتلأ قناعةً بأنه العبد الذليل العاجز والطامع برحمة الله والخائف والمتضرع إليه، وأنه قد مدَّ يد الحاجة والفقر إلى الله الفياض بالكرم والعطاء، فسيرى يقيناً تجلي قدرة الله وأسمائه العظمى في مرآة وجوده ووجدانه. كما ستحدث في داخله حالة من التحوّل الذاتي والحقيقي. فهو من جانب سيستشعر الخوف والخشية من احتمال عدم قبوله، ومن جانب آخر سيرجو رجاء الواثق بالله وأنه سينقذه ويأخذ بيده.

وقد استفيد في الرواية من تعبير (**الاستكانة**) وهي حالة مختلفة عن حالة (**المسكنة**). إذ الأولى تعني تعرف الفرد على نفسه وإحساسه بالعجز، وإذ ذاك ستشارك جميع أعضاء بدنه بالصلاة، دون أن يعترض أو يخالف عضو واحد من أعضاء البدن هذه المسيرة الروحية.

كما روي أن النبي - نظر إلى رجل يصلي ويعبث بلحيته، فقال عليه السلام: «**لو خشع قلبه خشعت جوارحه**»[1].

شروط الصلاة الصحيحة

في كتاب (**العروة الوثقى**) الذي يعتبر من ذخائرنا الفقهية والعلمية، هناك بحث (**في ما ينبغي للمصلي**) الفصل (١٩) من كتاب الصلاة، حيث يقول المؤلف رضوان الله تعالى عليه في معرض حديثه عن لزوم السعي

(١) عوالي اللآلي، ج٢، ص٢٣.

في تحصيل شرائط قبول الصلاة: «**وعمدة شرائط القبول إقبال القلب على العمل، فإنه روحه، وهو بمنزلة الجسد، فإن كان حاصلاً في جميعه فتمامه مقبول، وإلاّ فبمقداره**».

واستناداً إلى الآية القرآنية الكريمة القائلة: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾[1]، يمكن استنتاج ما يجب على الفرد المؤمن من تطهير نفسه من كل معصية، حتى يتقبل الله منه كل صلاة يصليها، فكل ذنب؛ صغيره وكبيره من شأنه التقليل من نسبة الإخلاص في الصلاة.

وقد وردت روايات كثيرة عن الأئمة المعصومين عليهم السلام فيما يخص الشروط اللازمة للصلاة، سواء المادية منها أو المعنوية، ونلاحظ في تلك الروايات أن تطهير البدن من النجاسات والخباثات الظاهرية، ليس سوى خطوة واحدة على طريق أداء الفريضة بصورة واقعية وصحيحة.

وقد أشرت في كتاب كنت ألّفته، ومر على نشره حوالي خمس وعشرين سنة، وحققت فيه الموضوع الخاص بأن الصلاة عمود الدين، تحت عنوان (**الصلاة؛ منهج متكامل**)، أشرت فيه إلى أن الفرد إذا استطاع أن يؤدي الصلاة بشكل صحيح ومتكامل، فإن كل دينه سيتجه إلى الصلاح.

وهنا لا نجد بأساً في أن نمثل لما نذهب إليه ونقول: تعلمون أن الدول والبلدان تنقسم إلى قسمين: الأول هو الدول المتقدمة، والثاني هو الدول النامية، وهو تعبير مؤدب عن حالة التأخر والتراجع لديها.

والسؤال المهم هنا هو: ما هو الحد الفاصل بين القسمين؟ وبكلمة أخرى؛ ما هو المقياس الذي تقوم عليه هاتان التسميتان، وما هو مقياس

---

(١) سورة المائدة، آية ٢٧.

التقدم؟ وكيف نعرف الدول المتقدمة عن الدول المتأخرة؟

وللإجابة يقال: إن صناعة السيارات هي الفيصل والمقياس في هذا المجال، فإذا استطاعت دولة من الدول أن تصنّع سيارة بجميع قطعها، فآنذاك يمكن تسميتها بالدولة المتطورة والمتقدمة صناعياً،ولكنها إذا عجزت عن إتمام هذه المهمة، فإنها ستنضمّ إلى دائرة الدول المتأخرة، أو ما يدعى بالنامية.

وكذلك الأمر بالنسبة للصلاة؛ فإذا أردت أن تتعرف على المستوى الذي وصلته من الكمال، فانظر إلى نفسك حينما تدخل في صلاتك، فإن كان ذهنك بمجرد الإتيان بتكبيرة الصلاة يتشتت باتجاه الأمور الدنيوية المادية، فاعلم أنك لازلت في أول الطريق.

فالمقصود من لفظة (**اللـه أكبر**) هو أن الله أكبر من أن يوصف وأكبر من كل شيء، ولكنك إذا انحدرت وانخفضت بخواطرك نحو الأمور المالية مثلاً، فهذه علامة تؤكد أنك لم تكن صادقاً حينما افتتحت صلاتك بالتكبير، بل عليك أن تعلم بأن التكبيرة لم تكن سوى لقلقة لسان.

إنك يجب أن تتدرج في ممارسة الرياضة الروحية وبناء الذات، لطرد مفردات الارتباط بالدنيا واحدةً واحدةً، ومن أجل تكريس الاعتماد على الله سبحانه وتعالى، واعتباره السبب والفاعل الأول في الوجود برمته،

وفي هذه الحالة، فإن الأدعية والأذكار التي تتلوها في الصلاة، تعطي كل واحدة منها معنى خاصاً يأخذ بيد المصلي إلى مرحلة من مراحل اليقين. فإذا بلغها الإنسان المصلي، كان بإمكانه أن يحلق في عالم الملكوت بأدائه ركعتين من الصلاة، حيث تغمره رغبة عارمة في الاستمرار فيهما، لأنه

يلتقي ربه عبرهما، ولذلك فقد تستغرق الركعتان منه وقتاً طويلاً دون أن يشعر بذلك.

وقد روي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَنَّهُ صَلَّى بِالْكُوفَةِ صَلَاةَ الْكُسُوفِ فَقَرَأَ فِيهَا بِالْكَهْفِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَرَدَّدَهَا خَمْسَ مَرَّاتٍ وَأَطَالَ فِي رُكُوعِهَا حَتَّى سَالَ الْعَرَقُ عَلَى أَقْدَامِ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَغُشِيَ عَلَى كَثِيرٍ مِنْهُمْ**»[1].

واستناداً إلى هذا المستوى الإيماني ينبغي أن نضع منهجاً دقيقاً لكيفية أداء صلواتنا، وأن نسعى إلى أداء الصلاة على النحو الأكمل شيئاً فشيئاً، وأن نتفاءل ونأمل بأن الله سبحانه وتعالى سيوفقنا إلى أداء أكمل ما يمكن من الصلاة في آخر لحظة من لحظات حياتنا.

فعلينا أن نلقن أنفسنا أن بالمقدور إنجاز هذا الأمر، وأننا قادرون فعلاً على القيام به، وأنا بدوري أعرف الكثير من الأشخاص الذين وفقهم الله تعالى وتوفاهم وهم في حين الصلاة.

فمن كان مدمناً على الحضور في دور العرض السينمائي، فإن من الطبيعي أو المرجح أن تكون وفاته في هذه الأماكن وأمثالها، ولكن من كان محباً للصلاة، فإن الله سبحانه سيهيء له الأرضية ويتوفاه وهو على ما يحب.

ولقد كان لي أستاذ وهو الحاج الشيخ محمد حسين المازندراني قد صلى صلاة الليل ونافلة الصبح، ثم إنه بعد إقامته لأذان الصبح وأداء الإقامة، أخذ يردّد هذا الدعاء: «**يامحسن قد أتاك المسيء**»[2] ثلاث مرات،

---

(١) وسائل الشيعة،ج٥،ص١٥٤.

(٢) ورد هذا الدعاء عن الإمام علي عليه السلام ، أنه كان يقول: «لِأَصحابِهِ : مَن أقامَ الصَّلاةَ وقالَ قَبلَ أن يُحرِمَ ويُكَبِّرَ :**يا مُحسِنُ قَد أتاكَ المُسيءُ ، وقَد أمَرتَ المُحسِنَ أن يَتَجاوَزَ** =

ثم هوى إلى الأرض وذهب إلى لقاء ربه عز اسمه.

وكم هو باعث على الفخر أن يلقى الإنسان ملك الموت متوجهاً إلى القبلة، متوضئاً قائماً متعبداً بهذه الصورة المثلى.

= **عَنِ المُسيءِ ، وأنتَ المُحسِنُ وأنَا المُسيءُ ، فَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ ، وتَجاوَز عَن قَبيحِ ما تَعلَمُ مِنّي**.فَيَقولُ اللّهُ تَعالى : مَلائِكَتِي اشـهدوا أنّي قَد عَفَوتُ عَنهُ ، وأرضَيتُ عَنهُ أهلَ تَبِعاتِهِ..». مستدرك الوسائل،ج٤،ص١٢٣.

حق الحج

يقول الإمام السجاد عليه السلام حول الحج: «**وَحَقُّ الْحَجِّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وِفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكَ وَفِيهِ قَبُولُ تَوْبَتِكَ وَقَضَاءُ الْفَرْضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّـهُ عَلَيْكَ.**»[1].

قبل أن يقوم الفرد بعمل ما، يجب عليه كخطوة أولى أن يحدد هدفه من هذا العمل.

فالحج مثلاً من جملة الفرائض الإلهية التي ينبغي للإنسان المسلم أن يدرك حقيقتها، وأن ينطلق من دافع إلهي للقيام بها.

وقد كنت ذات مرة في موسم الحج مع مجموعة من الإخوة المؤمنين، وحينما وصلنا إلى عرفات، سألنا أحدهم عن ماهية هذا المكان ولماذا نحن هنا؟ ! وكأنه كان جاهلاً بفلسفة عرفات.

ويشير الإمام زين العابدين عليه السلام، في رسالة الحقوق إلى أن الفرد المؤمن لابد أن يعرف أن حقيقة الحج وحكمته، هي أنه دعوة إلهية، وأن الحاج ضيف على مائدة الرحمن المباركة، وأن الحج خير فرصة ومنطلق للفرار إلى الله من الذنوب؛ الفرار الذي يشير إليه القرآن الكريم بقوله:

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٣.

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾[١].

فإذا كان في نية ابن آدم أن يفر، فليفر إلى حيث الله سبحانه وتعالى، إذ أن من الخصائص المميزة لفريضة الحج هي قبول التوبة من العبد التائب. ولنا أن نذكر بأنه قد جاء في بعض الروايات أن الله عز وجل جعل من موقف عرفات أرضاً لغفران ذنوب عبيده، وأن أي شخص يحضر الموقف عصر يوم التاسع من ذي الحجة الحرام، وبأيّة هيئة حضر سيتمتع بغفران الله تبارك وتعالى.

وهنا ينبغي أن يقال: إن من أكبر الذنوب أن يذهب الحاج إلى عرفات ويقف موقفها وهو يعتقد بأن الله لم يغفر له.

ثم يشير الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أن الحج فريضة قد أوجبها الله على الإنسان.

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٠.

حق الصيام

وفيما يخص الصيام، يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَحَقُّ الصَّوْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى لِسَانِكَ وَسَمْعِكَ وَبَصَرِكَ وَبَطْنِكَ وَفَرْجِكَ يَسْتُرُكَ بِهِ مِنَ النَّارِ فَإِنْ تَرَكْتَ الصَّوْمَ خَرَقْتَ سِتْرَ اللَّـهِ عَلَيْكَ**»[1].

وقد قال الإمام محمد الباقر عليه السلام: «**الصوم جُنة من النار**»[2].

لقد ارتكبنا ذنوباً كثيرة منذ أن بلغنا سن التكليف، وكل واحد من تلك الذنوب من شأنه أن يزيد جهنم اشتعالاً بالنسبة لنا. ولذا كان من الجدير بنا أن نهتم باستدراك ما فات منا، وأن نضع الموانع حتى نحول دون وصول النار إلينا على الأقل. ولعل واحداً من تلكم الموانع هو الصيام في شهر رمضان المبارك.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٣.

(٢) الكافي، ج ٤، ص ٦٢.

حقّ الصدقة

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَحَقُّ الصَّدَقَةِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي لَا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ عَلَيْهَا وَكُنْتَ بِمَا تَسْتَوْدِعُهُ سِرّاً أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا تَسْتَوْدِعُهُ عَلَانِيَةً وَتَعْلَمَ أَنَّهَا تَدْفَعُ عَنْكَ الْبَلَايَا وَالْأَسْقَامَ فِي الدُّنْيَا وَتَدْفَعُ عَنْكَ النَّارَ فِي الْآخِرَةِ**»[1].

على الإنسان أن يعرف بأن كل ما ينفقه في سبيل الله، وديعة عند الله الغني.

فيجب أن يبلغ ابن آدم مرحلةً يعرف فيها أن ما يدفعه من الصدقة يضمن له سلامته من الأمراض والأسقام، ولكم أن تتصوروا الأخطار التي قد يواجهها الإنسان في هذه الدنيا الفانية وفي الآخرة.

وقد كان يقال إن هناك ثلاثة آلاف نوع من الأمراض التي تهدد الناس، وقد تم تحديد ألف نوع منها مع طرق علاجها، وألف آخر قد شخص ولم يحدد لها دواء بعد، والألف الأخير لم تشخص أعراضه أساساً.

ويقول المتخصصون: إن مرض السرطان لوحده يتنوع إلى مائة وعشرين نوعاً. والأمر العجيب هو أن بعض أنواع هذا المرض له من الدواء ما هو

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٣.

يخالف أدوية الأنواع الأخرى.

وفي الوقت الحاضر، يعتبر تشخيص المرض نصف المعالجة، ولعل المشكلة الكبرى التي تقف في طريق الأطباء وعلم الطب عموماً هو تشخيص المرض.

فالصدقة، قد تكون الوسيلة الجيدة لدفع الأمراض والأسقام البدنية عن الإنسان.

وفيما يتعلق بالقضايا المعنوية، فهي على هذا المنوال والاتجاه. فالإنسان يجدر به أن يتخذ التدابير الخاصة واللازمة، وأن يطرد الآفات والأزمات الروحية والمشاكل النفسية، والصدقة التي يقدمها للفقير من طبيعتها أن تجنبه النار في يوم القيامة، كما تساهم في إشعاره بأن له دوراً اجتماعياً إيجابياً، مما يدفعه إلى الإحساس بأنه كائن اجتماعي حي غير معزول.

وفي إطار تشبيه هذه المسألة، لنا أن نتصور أن الصدقة وعملية الإنفاق في سبيل الله عموماً تشبه إلى حدٍّ كبير ما يقوم به بعض الأفراد في بعض الدول المفتقرة للأمن، حيث يستأجرون الرجال لحراسة ممتلكاتهم والمحافظة على حياتهم. فالصدقة التي تدفع لليتيم والمحتاج والمستضعف لها الخاصية نفسها التي يتمتع بها ذلك الحارس، حيث تدفع الصدقة المخاطر التي تهدد الإنسان على صعيد الدنيا والآخرة.

ثم يذكر الإمام السجاد عليه السلام من بين الصدقات صدقة الهدي والأضحية، ويمكن أن يقال بأن المقصود من الأضحية هو أوسع مما يقدم في موسم الحج، وينبغي أن لا يكون الحافز على الأضحية هو التظاهر

والرياء أمام الآخرين.

فهناك بعض الأفراد يحبون أن يراهم الناس ويروا ما يقدمونه من أضاحي ذات نوعية جيدة، في حين أن الأضحية يجب أن تكون سبباً لاستنزال الرحمة الإلهية، وللمساهمة في إنقاذ الشخص المنفق في يوم الحساب.

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَحَقُّ الْهَدْيِ أَنْ تُرِيدَ بِهِ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُرِيدَ خَلْقَهُ وَلَا تُرِيدَ بِهِ إِلَّا التَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ وَنَجَاةَ رُوحِكَ يَوْمَ تَلْقَاهُ**»[1].

فائدتان للصدقة

للصدقة فائدتان أو هدفان:

الأولى: تأمين حاجة الفقراء والمساكين والمحتاجين.

الثانية: تخليص الإنسان المنفق وروحه من شر الآفات الروحية والنفسية، مثل البخل والخسّة.

التاجر وأخذ الحقوق الشرعية

ذات مرة؛ ذهب تاجر إلى أحد علماء الدين في إحدى البلدان، وقال له: في ذمتي حقوق شرعية (**كالزكاة والخمس**) ويجب أن أقدمها لكم، ولكنني استثقل هذا الأمر ولا أتحمله.

فسأله العالم: إذاً فلماذا قصدتني؟ !

فأجاب التاجر: لقد جئتك لأعطيك شيئاً قليلاً من المال حتى تستأجر به أشخاصاً أقوياء من أفرادك أو أتباعك فيأتوا إلى منزلي غداً ويكبلوا يدي ورجلي ويأخذوا المبلغ الذي تستغرقه الحقوق الشرعية المتعلقة بذمتي

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٣.

من الصندوق ويسلموه لكم ! !

وحينما وجد العالم إصراراً شديداً من قبل هذا التاجر، وافق مضطراً على طلبه.

وتمت العملية؛ وفي غد تسليم المال جاء التاجر شاكراً لعالم المدينة على ما بدأ يحس به من راحة ضمير ! !

إن الانعتاق من ضغط المال أمرٌ ليس بالسهل، إذ أن من خاصية الدنيا أنها كلما أقبلت على الفرد كلما زاد بها تعلقاً وعليها حرصاً، ولذلك كانت تشبه العلم إلى حد كبير في هذا المجال، حيث كلما تقدم الفرد في ميدان العلوم، زاد حرصاً عليه وولعاً به.

الروايات: حِكمٌ ودقائق

إذا لاحظنا الروايات المنقولة عن الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام بشكل دقيق، اكتشفنا وجود نقاط دقيقة وحكم عديدة بين طياتها.

ففي الرواية المنقولة عن الإمام السجاد عليه السلام حينما كان الحديث خاصاً بالأعضاء والجوارح كان الإمام يشير إلى واجبات عملية على الإنسان أن يقوم بها. أما هنا؛ حيث الحديث عن الفرائض، نجد أن مصطلح العلم هو الذي تم استخدامه، ولعل الحكمة في تغيير دفة الحديث هو ضرورة التأكيد على المعرفة والتفكير في بعض الموارد، فإذا افتقر الفرد للمعرفة والتفكير، كان من الممكن أن يؤدي فريضة الحج مثلاً ولكنه بلا محتوى وجوهر.

دع الصلاة وابحث عن حقيبتك!

نقل أحد الإخوة ذات مرة:

كان الوقت وقت صلاة الصبح حينما عدنا إلى بلدنا من سفر العمرة، ولكن الكثير من العائدين من هذه السفرة قد فاتهم وقت الصلاة حتى صارت قضاءً، إلاّ أن أشخاصاً معدودين كان يهمهم أن يقيموا الصلاة في وقتها، رغم عدم وجود مكان خاص بالصلاة في قاعة المطار.

قلت لأحد العائدين من الديار المقدسة: أيها السيد! لقد حان وقت صلاة الصبح!

فأجاب: دعِ الصلاة وابحث عن حقيبتك!!

إن عدم الاهتمام بالصلاة يشير إلى أن هذا الشخص وأمثاله ورغم ذهابهم للديار المقدسة وأدائهم العمرة لم يعرفوا حقيقة تكاليفهم. ومن هنا يجب على العلماء والمرشدين المرافقين لقوافل الحجاج أن يهتموا بهذا الأمر، وأن يعرّفوا الحجاج على وظائفهم.

أين أجهزة التلفاز الأرخص ثمناً؟!

من المؤسف جداً أن الفرد الذي طالما كان ينتظر دوره لأداء فريضة الحج، وعندما تحين له هذه الفرصة الإلهية القيّمة، تراه ينهمك في التنافس على شراء زخارف الدنيا، نقل أحد الإخوة أنه بينما كان يتهيأ لصلاة الجماعة ذات مرة في المشاعر المقدسة فسمع في الصف الخلفي همهمة ملفتة للانتباه، وكان الحديث حول جهاز تلفاز ملون وأين يمكن شراؤه بسعر أرخص، وقد طال الحديث حول هذه التوافه بين الواقفين للصلاة،حتى نفذ صبره فقال: أيها السادة! هل تعلمون إلى أين جئتم؟ فالوقت وقت

السحر، وهنا بيت الله، وإن الظروف مهيأة لاستلهام وتكريس المعنويات، وهذا الحديث عن الماديات يمثل الحضيض في انعدام الذوق تماماً.

فأجابه أحدهم: أيها السيد أنت أدِّ صلاتك، فنحن قد صلينا ما فيه الكفاية ! !

فقال: هداكم الله وهداني معكم ! !

أهمية نصب المنبهات

والآن حيث صار من المألوف نصب أجهزة الإنذار ضد اللصوص في السيارات والبيوت والمحلات، يجدر بنا تجهيز أنفسنا بمثل هذه الأجهزة، حتى تعلن تعرضنا للخطر؛ فحينما نجلس لمشاهدة فيلم عديم الفائدة مما ينخرط تحت عنوان اللهو واللغو، يجب أن تمارس تلك الأجهزة مهمتها، فتمنعنا من الانغماس في مشاهدة مثل تلك الأفلام، فنعرف كم نبذر من الوقت الذي هو رأسمالنا بازاء فائدة رخيصة.

وطبقاً لرواية الإمام زين العابدين عليه السلام؛ فإن من الواجب أن نقرن العمل بالبحث عن المعرفة، فإذا أخذت المعرفة دورها الصحيح، كان عمل الإنسان وكلامه من نوع واحد.

وروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «**أوحى الله تعالى إلى موسى** عليه السلام: «**ياموسى؛ اشكرني حق شكري. فقال: يارب؛ كيف أشكرك حق شكرك، وليس من شكر أشكرك به إلا وأنت أنعمت به علي؟ فقال: يا موسى؛ شكرتني حق شكري حين علمت أن ذلك مني**»»[1].

(١) بحار الأنوار، ج١٣، ص٣٥١.

ولكم أن تجروا مقارنة بين هذا الكلام المفعم بالمعرفة، وذاك الكلام الفاقد للفكر الذي نلهج به نحن الناس عادة، وننسى أننا لابد ماثلون في القيامة لنحاسب على ما تلفظنا به.

وهذا في واقع الأمر ثمرة الفكر المقرون بالمعرفة، وهذا هو التخفيف الذي أنعم الله به على العارفين. وعلى الصعيد التربوي، يمكن القول بأن العلم والفكر لهما دورهما الخاص في حياة الإنسان، وأنه لا يمكن اختزال كل شيءٍ بالعمل.

وظيفة الحاكم

ويضيف الإمام السجاد عليه السلام في حديثه: «**وَحَقُّ السُّلْطَانِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فِتْنَةً وَأَنَّهُ مُبْتَلًى فِيكَ بِمَا جَعَلَ اللَّـهُ لَهُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَأَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَتَعَرَّضَ لِسَخَطِهِ فَتُلْقِيَ بِيَدِكَ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَتَكُونَ شَرِيكاً لَهُ فِيمَا يَأْتِي إِلَيْكَ مِنْ سُوءٍ**»[1].

فحق السلطان هو انتباهه إلى أن القوة التي يتمتع بها ليست إلا وسيلة فتنته وامتحانه، وعليه فإن خضوع الجميع له وطاعتهم إياه بمثابة الفتنة والامتحان له. وقد جاء في القرآن الكريم: ﴿**رَبَّنَا لاَ تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[2].

وهذا يشير إلى أهمية أن يتنبه الإنسان ويطلب إلى ربه أنه إذا قضي عليه بأن يكون وسيلة امتحان لشخص قوي، فلا يجعله وسيلة امتحان وفتنة للظالم، بقدر ما يجعله وسيلة امتحان للإنسان العادل.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٣-١٣٤.

(٢) سورة يونس، آية: ٨٥.

ومن هذا كله يمكن أن يفهم بأن العامل تحت إمرة السلطان الظالم ملزم بأن لا يتسبب في إثارة غضب الظالم فيدفعه إلى اعتقاله وإيذائه، وفي هذه الحالة يكون الظالم قد خسر في الامتحان الإلهي بسبب من هو بخدمته.

وهذا الأمر له مصاديق ونماذج عديدة.

فإذا كانت الفتاة جميلة إلى حد كبير، فعليها أن تعلم أنها بمثابة الفتنة للآخرين، وأن الشباب يُمتحنون بواسطتها، فمثل هذه الفتاة لابد أن تلتزم العفة والحياء، فلا تعرض محاسنها للآخرين، وأن تسعى جاهدة لئلا تكون فتنة وامتحاناً لهم.

ويمكن الاستشهاد بشاهد تاريخي بهذا الصدد:

فقد كان المعلّى بن خنيس حاجباً للإمام الصادق عليه السلام وكان شخصاً نشطاً، ويبدو أنه كان يناقش ويبحث جملة من الموضوعات بمحضر من الأعداء المعاندين والناصبين العداء لأهل البيت عليهم السلام،بصورة غير مدروسة، حتى أنه كان يثير حفيظة الأعداء وأحقادهم عليه، ورغم أنه طالما قد حذّر من اعتماد مثل هذا الأسلوب، إلا أنه لم يعبأ بكل التحذيرات، الأمر الذي انتهى به إلى الموت على يد أعدائه.

3





حقوق
المعلم والمتعلم





حق السائس بالعلم

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَحَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ التَّعْظِيمُ لَهُ وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وَحُسْنُ الِاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَالْإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَأَنْ لَا تَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ وَلَا تُجِيبَ أَحَداً يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ وَلَا تُحَدِّثَ فِي مَجْلِسِهِ أَحَداً وَلَا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَداً وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ وَأَنْ تَسْتُرَ عُيُوبَهُ وَتُظْهِرَ مَنَاقِبَهُ وَلَا تُجَالِسَ لَهُ عَدُوّاً وَلَا تُعَادِيَ لَهُ وَلِيّاً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَهِدَ لَكَ مَلَائِكَةُ اللَّـهِ بِأَنَّكَ قَصَدْتَهُ وَتَعَلَّمْتَ عِلْمَهُ لِلَّـهِ جَلَّ اسْمُهُ لَا لِلنَّاسِ**»[1].

العلم من أهم القيم الإنسانية، وما لم يستعد الإنسان إلى تلقي العلم ويهيئ في نفسه الأرضية لهذا الغرض فإنه من المستحيل، أو على الأقل، من الصعب الحصول عليه.

وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد، وقد أخذ بيده ليرشده ويعظه بشكل خاص وجدّي: «**يَا كُمَيْلَ بْنَ زِيَادٍ إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ وَهَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ**

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٣.

يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ وَلَمْ يَلْجَئُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ»[١].

ويبدو أن معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام هذا إشارة إلى الآية القرآنية القائلة: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً**﴾[٢].

فكل وادٍ له قابليته الخاصة لاستيعاب وجذب ما يسيل فيه من ماء المطر، والله قد أنزل من السماء ماءً مجاناً، دون تقسيم خاص، ولكن قابلية كل مكان هي التي تقسم مقادير المياه.

ولا يفهم من كلامنا أن من كانت قابليته أكبر كان أكبر أو أكثر عرضة للمتاعب والآلام، بل إن ما نقصده ونذهب إليه هو أن صاحب القابلية الأكبر سيأخذ الحظ الأعظم والفائدة الكبرى من النعم الإلهية.

وقد ورد في القرآن الكريم: ﴿**مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ**﴾[٣].

إن الحقوق المشار إليها في رسالة الإمام زين العابدين عليه السلام لا تؤخذ بعين الاعتبار أو تراعى إلا من أهل الإخلاص والصفاء والوفاء وأصحاب الصدور المنشرحة، وبالتالي فإن هذه المعارف تنتهي إلى الله سبحانه وتعالى.

مفهوم (السائس)

استفاد الإمام السجاد عليه السلام من كلمة (**السائس**) للتعبير عن المعلّم، ومن أجل فهم معنى هذا الاصطلاح نضرب مثالاً بهذا الشأن:

---

(١) نهج البلاغة ص٤٩٦، بحار الأنوار، ج١، ص١٨٨.

(٢) سورة الرعد، آية: ١٧.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٤٣.

فقديماً؛ كان الناس يذهبون إلى الصحراء لاصطياد الخيول والإتيان بها إلى المدن، ثم يقومون بتأهيل هذه الخيول وتربيتها، وبالطبع كانت هذه العملية بحاجة إلى مهارة خاصة، ومن كان ينفذ هذه المهمة كان يسمّى **(سائس الخيل)**.

وهذه الرواية التي استفادت من كلمة السائس للتعبير بها عن المعلّم، إنما تعني أن المعلم ليس من يُعلّم تلميذه كلمة مجردة، بل هو الذي يتتبع التلميذ ويتعرف على ظروفه وحالته، ليتأكد من الطريقة أو الطرق المثلى التي تمكّن التلميذ من التعلم والاستيعاب.

فالمعلم الذي يكتفي بالقول والتحدث، ولا يكلّف نفسه عناء متابعة حياة التلميذ ووضعه، لا يصح أن يطلق عليه اسم **(السائس)**.

ثم إن من واجب المتعلم احترام معلمه وإجلاله، لأن هذا المعلم المشار إليه قد عبّد لتلميذه طريق الهداية والصلاح.

فالمتعلّم يجب أن يكبر مجلس العلم، وألا تكون الدنيا شاغلاً لذهنه ما أمكنه، كما ينبغي أن يركّز ذهنه فيما يقرر له أستاذه من مسير، فيضع عينه بعين المعلّم، لأن للعين في هذا المجال حقاً ونصيباً.فقد يكون الأستاذ في بعض الأحيان يرفق حديثه بقرائن حالية لابد من إدراكها والانتباه إليها، حتى أن رواة الأخبار والأحاديث كانوا لا يغفلون عن الإشارة في نقلهم إلى ما فعله الإمام لدى حديثه أو بعده، كأن قام أو قعد، إذ قد يكون الإمام يقصد معنىً خاصاً وهدفاً معيناً من فعله، أو أن يكون الإمام المعصوم قد تفوه بحديثه غاضباً، أو كانت يده قد أخذت حالة خاصة، فجميع هذه الأوصاف الجزئية قد توصلنا بصورة دقيقة إلى مقصود الإمام المعصوم عليه السلام ونيته.



واجبات التلميذ



أما واجبات التلميذ تجاه المعلم فهي كما نستفيدها من كلام الإمام السجاد عليه السلام؛ أن يلتزم التلميذ بخفض صوته أمام أستاذه، وليعلم أنه من الخطأ أن يقفز الطالب بأسئلته في حديث معلّمه، أو أن يتشاغل التلاميذ بالتحدث فيما بينهم عن درس الأستاذ وحديثه، وكذلك عليهم ألا يحرجوا معلّمهم بأن يدعوه إلى مجلس يغتاب الآخرون فيه، لأنه سيكون محرجاً ومضطراً إلى مواجهة الغيبة أو أن يغادر هذا المجلس، وكلا الحالتين صعبتان عليه.

كما ينبغي للطلاب أن يدافعوا عن أستاذهم إذا ما تعرض للغيبة من أحدهم أو أمامهم من قبل الآخرين. وإذا اطلعوا على عيب لأستاذهم، فعليهم أن يكتموه. فتبعاً لمستوى العلاقة الحميمة والقريبة لبعض التلاميذ مع أستاذهم، فإنهم قد يكتشفون فيه نقاط ضعف لا يرغب الأستاذ في الإعلان عنها، ولكنهم يجب أن يبذلوا ما بوسعهم لئلا تكشف هذه العيوب أمام الآخرين، وبدلاً من ذلك؛عليهم أن يعلنوا ما لديه من نقاط قوة وأن يتذكروها دائماً.

يجب أن تكون علاقة التلاميذ بأستاذهم علاقة الودّ والمحبة، وأن

يتخذوا أعداءه أعداءً لهم. فإذا تم الالتزام بهذه الوصايا، شهدت الملائكة في يوم القيامة للتلاميذ بأنهم كانوا يتعلمون العلم في سبيل الله سبحانه وتعالى حقاً.

حقيقة العلم

من الجدير أن نعرف بأن حقيقة العلم ليست مجرد العلوم والمعارف التي نتعلمها أو نعلمها للآخرين، فهذه العلوم من الممكن إيداعها في جهاز الحاسوب أو الكتاب أو أشرطة الكاسيت.

إنما العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء، ولا يهبه لأي كان.

ومن خصائص العلم الحقيقي أنه إذا حلَّ في الإنسان دفعه إلى التكامل والتسامي، وطهر باطنه وجوهره، وخلق فيه البصيرة، هذه البصيرة التي تمكّنه من التعرف على نقاط ضعفه، كما تحمله على الخضوع والتواضع.

4





حق وليّ الأمر





حق السائس بالملك

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمِلْكِ فَأَنْ تُطِيعَهُ وَلَا تَعْصِيَهُ إِلَّا فِيمَا يُسْخِطُ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُمْ صَارُوا رَعِيَّتَكَ لِضَعْفِهِمْ وَقُوَّتِكَ فَيَجِبُ أَنْ تَعْدِلَ فِيهِمْ وَتَكُونَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ وَتَغْفِرَ لَهُمْ جَهْلَهُمْ وَلَا تُعَاجِلَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَتَشْكُرَ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَا آتَاكَ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَيْهِمْ**»[1].

الأمر المتعارف عليه في الحياة الدنيا هو أن يتخذ كل فردٍ قائداً له، وأن تكون لكل بلد حكومة أو حاكم عليه، إذ لا معنى لأن يكون الجميع في مستوىً واحد، دون أن يكون هناك حاكم ومحكوم.

وكل مواطن يتحمل مسؤولية ما، تجاه حاكمه وولي أمره، يجب عليه أن ينجزها.

فإذا كانت راية الحكم والحكومة في قبضة شخص من الأشخاص، كان من واجب الجميع إطاعته والتحرك تحت رايته عندما تكون حركته حركةً صحيحة.

أما إذا سار الحاكم في الطرق الخاطئة المنحرفة، فلا يجوز اتباعه طبعاً،

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٤.

انطلاقاً من الحكمة السامية التي قالها النبي ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**»[١].

والحاكم من جهته أيضاً يجب أن يهتم ويرعى لمن تحت سلطته حقوقهم.

إن للحكومة والقيادة تعريفاً عاماً وشاملاً. فمن الممكن أن يكون الفرد قائداً لأسرته فقط، وفي هذه الحالة ينبغي أن يلتزم أصول العدالة في دائرة قيادته.

فالعدالة قيمة سامية ولابد أن نكون بصدد توفيرها والمحافظة عليها دائماً وأبداً. فلا يجوز أن نوجه سهام الظلم لمن هو تحت سلطتنا لمجرد كوننا قادرين على قهره، فنتوقع منه ما فوق طاقته.

إن الحاكم أو ولي الأمر يجب عليه أن يستفيد من الإمكانات والطاقات التي وضعها الله تبارك وتعالى تحت تصرفه في مسيرة تحقيق الأهداف الصحيحة. فليس عليه أن لا يظلم فحسب، وإنما عليه أيضاً أن يسعى لإحقاق الحق وإحراز العدل والإحسان.

فالله سبحانه وتعالى قد أقرّ في القرآن الكريم قيادة الرجل في حدود بيته، إذ قال: ﴿**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ**﴾[٢].

ولكن هذا لا يعني أن يسلك الرجل من أجل هذا، سلوكاً ظالماً ديكتاتورياً؛ بل عليه – وبسبب ميزة القدرة التي يتمتع بها – أن يكون بصدد

(١) من لايحضره الفقيه، ج٤، ص٣٨١.
(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.

الاستفادة من هذه القدرة في إطار تربية العائلة وتعليمها وتكاملها.

وما يتوقع من الحاكم المقتدر هو تجاوزه عن أخطاء رعيته، وغض النظر عنها، وأن يحدث نفسه بأن من الطبيعي جداً صدور الأخطاء والزلات من أتباعه ومن هم تحت سلطته، بل ولا ينبغي توقع النزاهة الكاملة التامة والعمل المتقن منهم، لأنهم إن لم يخطئوا أو يزلّوا، كانوا جديرين بأن يُتَّبعوا لا أن يَتَّبعوا. وعليه؛ فإن القائد لا تصح منه المبادرة إلى العقوبة إلا ما شذ أو ندر.

قصة المهاراجا والميرزا الشيرازي!

كانت الهند في زمن الميرزا الشيرازي قدس سره محكومة من قبل حوالي ثلاثمائة ملك، يسمى الواحد منهم بالمهاراجا، وكان واحد من هؤلاء مريداً ومقلداً للميرزا الشيرازي، المرجع الشيعي الكبير في عصره. وفي سنة من السنين قصد هذا الوجيه الهندي مدينة سامراء في العراق، وكان يحمل مقداراً كبيراً من المال ليقدمه لمرجعه الكبير الشيرازي. فوصل إلى المدينة ليلاً، فقرر أن يزور السيد في صباح الغد، ولكنه ما أن استلقى ليأخذ قسطاً من الراحة والنوم، حتى طرق عليه باب غرفته التي كان قد استأجرها، وحينما فتحه وجد فقيراً يطلب منه شيئاً من المال، فأعطاه ما أراد، ورجع لينام، فسمع طرقات أخرى، فقام ليفتح الباب مرة أخرى، فرأى فقيراً آخر يطلب الطلب نفسه، فأعطاه المهاراجا شيئاً قليلاً من المال، ثم تكررت المسألة من فقراء آخرين حتى طلع الصبح على الرجل ولم يذق طعماً للنوم، فكان من المعلوم أن فقراء سامراء قد تنادوا فيما بينهم بأن رجلاً

ثرياً قد دخل المدينة، وأنه من الممكن طلب المساعدة والصدقة منه![1].

ولما ذهب المهاراجا للقاء الميرزا الشيرازي، كان يغالب النعاس بشكل واضح، فسأله الميرزا قائلاً: كأنك تعب وغير مرتاح؟!

فأجابه: لقد سلب فقراء مدينتك النوم والراحة مني !

فقال له الميرزا: إذن؛ عليك أن تشكر الله الذي جعلك مهاراجا، فهجم عليك الفقراء، ولم يجعلك فقيراً تضطر إلى الذهاب لبيت مهاراجا آخر ! !

قصة الكويتي والبنغلادشي!

نقل لي أحد المواطنين الكويتيين هذه القصة، قائلاً:

كنت في مجلس حسيني في ليلة الثامن من شهر محرم الحرام، وكان الخطيب يعظ الناس من على المنبر، حيث قال: لماذا تظلمون - أيها الكويتيون - من تحت أيديكم من الخدم الأجانب في بيوتكم؟ولماذا تضربونهم؟ أليس من المحتمل أن يأتي أحدكم يومٌ فيخضع فيه لأسر أحد البنغلادشيين في بنغلادش - على سبيل المثال - فيظلمه كما كان يظلم غيره، فهل سيكون ذلك مناسباً لكم؟ فالآن حيث أنعم الله المنان عليكم بالثروة، فاستخدمتم العامل البنغلادشي، فحاولوا أن تسلكوا معه سلوكاً عادلاً.

---

(١) كنت في سفرة إلى الهند، فاطلعت على أن فقراءها إذا ما حصل أحدهم على مال، فإنه يكون ملزماً بإخبار بقية أصحابه، حتى أن الشخص المتصدق يندم على ما قدمه من مساعدة، فقد يكون هناك مجلس خاص بالفقراء والمساكين، وهم مكلفون بتسليم ما حصلواعليه وجمعوه من مال ليقتسموه فيما بينهم، ولذلك فهم مطالبون بإخبار بعضهم إذا رأوا من لديه مال وفير. ويبدو أن الوضع في سامراء في العهد المشار إليه كان مشابهاً لما هو عليه الآن في بلاد الهند.

يقول هذا المواطن الكويتي: حينما كان الخطيب ينصحنا، قلت لنفسي: إن بنغلادش دولة متأخرة، وإن من المستحيل أن يخدم كويتي بنغلادشياً.

وكان من التقدير أن هجم جيش الطاغية صدام على الكويت بصورة مفاجئة بعد هذه الحادثة، واحتلها وفعل ما فعل فيها، وفي ذلك الحين خاطبني أحد الأشخاص الأجانب ممن كان يعمل لديّ منذ سنين مديدة وبلحن اللائم قائلاً: لا زال وطني على حاله، ولكنك أصبحت الآن بلا وطن ! !

إن هذه القصة المعبرة توضح ضرورة طرد الغرور والتكبر والعصبية من بين ظهرانينا، لأن الإنسان لا يعلم ما سيحل به غداً.

وأنا كلي اعتقاد بأن صفاتٍ رذيلة مثل الغرور والأنانية لو لم تكن فينا لأنزل الله علينا نعماً أكثر، ولكنه يعلم سرائرنا، ويعلم أيضاً أنه لو فتح علينا كل أبواب نعمائه لطغينا وتكبرنا بلا حدود، والعياذ بالله !

وللأسف؛ فإن للإنسان من الطبع الردئ ما يدفعه إلى قطع جذور العاطفة تجاه أقرب المقربين إليه من أجل منافعه المادية والدنيوية البحتة.

وشخصياً، أعرف أحدهم في بلد غني كان له أولاد قد غمرهم الفرح لدى تشييع جنازته، لأنهم قد تخلصوا من شره. فالنعمة التي تسلب من الفرد عاطفته ورحمته، إنما هي نقمة تتحول ضده.

وعلى هذا؛ فمن الأفضل ألا يطلب المرء من ربه نعمة أكثر من التي أعطاه، لأن ذلك ليس من صالحه وصلاحه، إذ نجد في بعض الأحيان قليلاً من المكنة المالية والثراء البسيط يحطم ابن آدم، ولعل أفضل دعاء يدعوه الإنسان هو أن يطلب من ربه الكريم أن يتعهد بتدبير أموره، وأن لا يكله إلى نفسه طرفة عين أبداً.

بنو إسرائيل والطلب غير المناسب !

جاء بنو إسرائيل ذات مرة إلى نبيهم يطلبون منه أن يدعو لهم الله سبحانه وتعالى لكي يوكّلهم بأمر نزول المطر ! !

وحينما نقل النبي طلب قومه إلى الله، أتاه الوحي بأن ذلك ليس من مصلحتهم.

ولكن القوم أصروا على رغبتهم الجاهلة وطلبهم الغريب وغير اللائق هنا، حتى استجاب الله لهم.

ولما أصبح أمر نزول المطر تحت تصرفهم، أخذوا بإنزاله بكميات كبيرة وغير مدروسة، لمضاعفة المحصولات الزراعية، فامتلأت الأراضي والصحاري بمزارع الحنطة التي بلغ طول سنابلها ما يعادل قامة الإنسان.

ولكن القوم فوجئوا حينما جاؤوا لحصاد الحنطة حيث وجدوا سنابلها الطويلة خالية من الحبوب، وإذ أصبح معلوماً لديهم أن السنابل قد نمت بلا حبوب لفرط ما سقيت من الماء.

فذهبوا يشكون أمرهم إلى نبيهم، فنقل النبي شكواهم إلى الله سبحانه وتعالى، فجاءه الجواب بهذا المعنى:

لقد ظن قومك بأنني حينما أُنزل المطر بقدر، فإنما أنزله بداعي الخسة وضيق النظر، ولكنهم يجهلون أن مصلحتهم ومصلحة الأراضي الزراعية في هذا القدر دون غيره، والآن حيث أمسكوا بزمام الأمور فقد عرفوا الحكمة من أن تكون المقادير بأيدينا نحن، حتى ننزل كل شيءٍ بقدرٍ معلوم.

ولذلك؛ فإن من الحكمة أن نضم إلى أدعيتنا التي نذكر فيها حوائجنا ومطالبنا المشروعة إلى الله تعالى، هذا الطلب:

اللهم آتنا ما تعلم فيه صلاحنا ومصلحتنا، ولا توسع علينا في دنيانا ما يفسد علينا ديننا.

5





حقوق الأسرة





حق الزوجة

في رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام التي هي محور بحثنا، كان الحديث عن الحقوق التي تقع على عاتق الإنسان تجاه غيره، وقد رتّبت هذه الحقوق بشكل لائق جداً، إذ تم الحديث بدءاً عن حقوق الله سبحانه وتعالى، ثم عن حقوق أعضاء بدن الإنسان، وتلاها حق العلم، وحق السلطان، والرعية.

ثم يتحدث الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن الأسرة وحقوق الزوجين تجاه بعضهما البعض، فيقول: «**وَأَمَّا حَقُّ الزَّوْجَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَهَا لَكَ سَكَناً وَأُنْساً فَتَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ فَتُكْرِمَهَا وَتَرْفُقَ بِهَا وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَوْجَبَ فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ أَنْ تَرْحَمَهَا لِأَنَّهَا أَسِيرُكَ وَتُطْعِمَهَا وَتَكْسُوَهَا وَإِذَا جَهِلَتْ عَفَوْتَ عَنْهَا**»[1].

لقد وصف الله سبحانه في كتابه مصطلح (**الزوج**) بصفة (**الكريم**) فقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾[2].

وهذا ما يشير إلى أن الزوجية ذات كرامة خاصة. فالإنسان قد يكون بحاجة إلى الحذاء مثلاً، إلا أن هذه الحاجة وهذه الوسيلة لا كرامة لها.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٤.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٧.

إن احترام الزوج لزوجته لا يتحقق فقط من خلال إنفاق الزوج عليها من ماله، بل إن تكريم المرأة له أساليبه وطرقه الخاصة به، وهو بطبيعة الحال بحاجة إلى مزيد من إمعان النظر والدقة، تبعاً إلى أن بعض متطلبات الحياة بحاجة إلى الدقة والتركيز في العمل والإنجاز، ومن دون هذه الدقة سيعود العمل بالضرر حتماً.

فمثلاً؛ حينما يريد شخص ما فتح باب الدار بواسطة المفتاح، فإنه لا يلزمه استخدام القوة، لأن ذلك من شأنه أن يكسر المفتاح والقفل معاً، ولكي يتم فتح الباب لابد من التحلي بالصبر والأناة. وكذلك الأمر بالنسبة للقضايا العائلية والعاطفية، إذ هو بحاجة إلى سلوك لائق ومناسب.

وللأسف؛ فإن المتعارف في بعض البلاد أن الرجل حينما يأتي بسيرة امرأته، أو قضية تخصها أمام بعض رفاقه، فإنه يقدم لذلك عبارات الاعتذار أولاً ثم يشرع في التحدث. وكأنه يتحدث عن شيءٍ مُخجل أو يصف أمراً معيباً بالأصل. وهذا مالا ينبغي أن يكون، بينما في مقابل ذلك؛ هناك من الأشخاص من يخاطب زوجته بعبارات التعظيم والتمجيد والاحترام، وهو المطلوب.

ثم يضيف الإمام في حديثه أن المرأة قد جعلت نفسها في البيت كالأسيرة من أجل الرجل، ولهذا وجب على الرجل إكرامها ما استطاع، فلا يجوز مواجهتها بالتوبيخ والتقريع بسبب ارتكابها خطأ ما في عملية الطبخ مثلاً،

فإذا قام صرح الأسرة على أساس الانتقاد لصغائر الأمور والبحث عن الأخطاء، فإن هذا الصرح سيتحول إلى كتلة من الحقد والضغينة والنفور،

ولكنه إذا حلّ الصبر والتفهّم والمداراة مكان تتبع الأخطاء، كان بالإمكان صناعة جنة من الحب والرحمة والألفة، وبأقل الإمكانات.

وقد كنت ذات يوم في ضيافة أحد الأشخاص في بيته، وكانت زوجته تتألم من مشكلة خاصة، وحينما أراد زوجها منها أن تأتينا بالشاي، أكثرت من الرواح والمجيء لتأتي بالأقداح مرة،وبإبريق الشاي أخرى، وبالسكر تارة ثالثة، وهكذا بدلاً من أن تأتي بها خلال مرة واحدة.

فقال لي الرجل متهكماً (ودون أن يقدّر وضعها الصحّي): إنني أعيش مع زوجتي منذ ثلاثين سنة، وقد رزقنا الله بواسطتها بكثير من الأولاد ولكنها لم تتعلم بعد طريقة الإتيان بالشاي ! !

جذور الأخلاق السيئة لبعض الأمهات

أعتقد أن العديد من جذور الأخلاق الرذيلة لدى الأمهات تعود إلى سوء أخلاق أزواجهن.

وطريقتي الخاصة لدى إجرائي لعقد الزواج بين الشباب والفتيات هي أنني أتحدث إليهما لمدة نصف ساعة على الأقل، وأنصحهما وأبين لهما أهم قضايا الزواج ومسائل العلاقات الزوجية.

وفي إحدى المرات كنت أتحدث إلى زوجين حديثين، وحينما أتممت حديثي، بادرني أحد المرافقين لهما قائلاً: لقد تزوجت منذ أربعين عاماً، ولكنني لم أكن أعرف حتى اليوم أسلوب وأصول العلاقة والحياة الزوجية السليمة.

وواحدة من المسائل التي أتحدث بها إلى الزوج خاصة؛ هي: أن لا يزج قضايا عمله ومشاكل كسبه بقضايا البيت والأسرة الخاصة، وأن يجنب

الجو العائلي العاطفي الخوض في أحاديث وقضايا قد تشنجه أو تلوِّثه.

إن التخلف الأخلاقي هو الذي يدفع مجتمعنا باتجاه السلوك السيئ والرذيل. فالفطرة الإلهية لا تتفق أبداً وهذا النوع من سلوكيات الصراع، والاتهام والشجار والتعامل اللاأخلاقي.

نعم؛ إذا كانت المرأة ذات طبيعة عدوانية -بسبب نوع التربية التي شبّت عليها- فإن القضية ستختلف، ومع ذلك لا يحق للرجل الاستفادة من أساليب عدوانية مشابهة، لأن ذلك سيبعث على تأزيم الوضع أكثر فأكثر. فقد تكون المرأة معقدة نفسياً، وتعاني من نوع من الانحراف النفسي والروحي، الأمر الذي يوجب على الرجل البحث عن أصل المشكلة، ووضع العلاج العاطفي والمنطقي المناسب.

جدير ذكره، أن المرأة بفطرتها الأولى تحب الخضوع للرجل والدخول تحت قيادته، ولكن بسبب تعسُّف الرجال في التعامل مع الزوجات واستغلال سلطتهم في الأسرة بشكل سلبي وظالم، فإن النساء أخذن بالتنكّر لهذه الفطرة والسعي للتخلص من ظلم الرجل وجبروته.

وقد ظهرت في المجتمعات الحديثة نساءٌ يتصفن بصفات الرجل، كما يروّجن بصور شتى لهذه الحالة، فتراهن يوصين بناتهن أن لا يخضعن لسلطة الرجل ولا يطعن له أو لأبيه أو لأمه أمراً، ولا يسمعن لهم نصيحة وتوجيهاً. وجراء هذا الحشد والتأليب تضطر الفتاة إلى أن تجد نفسها مكبلة وسط جو مفعم بالأزمات والمشاكل والعُقد، وتنسى ضرورة مداراتها وحفظها للجو العائلي الهادئ.

فهذه الحالة تشير إلى انقلاب القيم والموازين في مجتمعاتنا، وإلى تلوث الثقافة السائدة.

المناهج الدراسية ومصير الشباب

إن المناهج الدراسية في مدارسنا غير مناسبة أبداً للطالبات واحتياجاتهن الحقيقية، فالبنت حينما تبلغ السنة الخامسة عشرة مثلاً من عمرها، وبدلاً من أن تتعلم الثقافة الإنسانية الخاصة بالزواج ورعاية أمور البيت وحضانة وتربية الأطفال، تكتفي -أو هكذا أجبرت على الاكتفاء- بدراسة مناهج الفيزياء والرياضيات والكيمياء والتاريخ فقط.

منذ سنوات بعيدة، كنت كثير الزيارة لبيت أحد أصدقائي، وفي إحدى المرات، علمت أن ولداً صغيراً لبعض أهله قد مات فجأة، وحينما سألت عن السبب قيل لي بأن الأب والأم - اللذين كانا يعملان خارج البيت - كانا يلقمانه حبوب الأسبرين المهدئة لإسكاته عن البكاء مما انتهى به إلى الموت المفاجئ.

في حين أن مثل هذه الأخطاء نابعة من جهل الآباء والأمهات بقضايا واحتياجات الأطفال، ويجب أن يتعلم الأولاد والبنات خلال أيامهم الدراسية كيفية التعامل معها، لئلا تتكرر مثل هذه الأخطاء.

أما فيما يتعلق بالآباء والأمهات الموظفين أو العاملين الذين لا يجدون الفرصة لإدارة شؤون أولادهم، فينبغي القول إن خطر الإصابة بالعقد النفسية يكمن لأولادهم الذين يكونون في بداية مرحلة الطفولة بأمسّ الحاجة للعاطفة والمحبة. فالطفل الذي ينمو بواسطة الحليب المجفف، ثم لا يأخذ نصيبه من عاطفة الأم وحنانها، لا يمكن تصوره ذا مستقبل محمود.

وما يبعث على الأسى في هذا المجال، أننا نلاحظ في بعض المدارس

سلوكاً رديئاً من قبل المعلمين تجاه التلاميذ. فالمعلمون يعانون مشاكل مشابهة لما يعانيه أولياء الأمور ضمن نطاق الأسرة المضطربة، فلا يواجهون تلاميذهم بغير الأخلاق الرذيلة في المدرسة، ومن شأن هذه الطريقة أن توجه للتلاميذ وأرواحهم اللطيفة الضربة القاضية التي تهدد مصيرهم ومستقبلهم بالفشل.

وهكذا يتدرج الطفل نحو الحضيض بسبب أصدقاء السوء ومشاهدة أفلام العنف والشذوذ عبر السينما والتلفزيون، وكذلك بسبب الغفلة عن الدين والعقيدة، مما يتسبب بصورة مباشرة في اعوجاج شجرة شخصية الطفل حتى يكاد يكون من الصعب التفاؤل بإمكانية إصلاحها وتعديلها.

ولذلك؛ كان الاهتمام بهذا الأمر مطلباً ملحاً للغاية، وكذلك العمل على توطيد شخصية الطفل منذ البداية على أساس القضايا العقيدية والروحية والمعنوية. فالمؤمنون الملتزمون الذين ينظرون إلى عواقب الأمور، ملتزمون بتعليم أطفالهم الثقافة الدينية وأحكام الشريعة والأخلاق الفاضلة منذ البداية.

الطفولة؛ المرحلة المناسبة للتربية الإسلامية

ينبغي اعتماد طرق وأساليب متعددة ومناسبة لتكريس وتقوية روح التدين في قلوب الناس وضمائرهم، إذ لا يمكن الاعتماد على الأساليب العفوية في مواجهة ومقاومة الهجوم الثقافي الشرس الذي تتعرض له الأمة الإسلامية من كل صوب وحدب، فمن العوامل المؤثرة في صد هذا الهجوم هو الاهتمام بتربية الشباب منذ صغرهم ونعومة أظفارهم.

فالفتن الثقافية والانحرافات الأخلاقية مستمرة في التوسع والتمدد. وتأييداً لهذا ينقل أن الإصابة بمرض الإيدز قد ارتفعت بنسبة ثلاثين بالمائة

في أميركا في السنوات الأخيرة، أما في بعض الدول الأفريقية ومن جملتها جنوب أوغندا فقد وصلت نسبة الإصابة إلى مائة بالمائة ! !

إن الله عز وجل استن في الكون سنناً، ولم يستثنِ شخصاً من الأشخاص أو مجتمع من المجتمعات ! !

فإذا انتشرت ظاهرة الارتشاء والغلاء والكذب والإجحاف وهضم الحقوق، فإن تبعات كل ذلك ستتعلق بنا دون غيرنا، ولعل أقل وأبسط آثار عدم الاعتناء بالمعنويات حرماننا من الماديات نفسها !

إن الظواهر الطبيعية السيئة والأوضاع الجوية الرديئة كالجفاف والتصحر، تضرب بجذورها كلما ابتعدنا عن ربنا ولم نعتن بأوامره، وقد وردت عبارات ونصوص تهز ضمير الإنسان في الروايات والأدعية الواردة عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ومنها نصوص دعاء كميل فيما يخص الوجهة السلبية للذنوب، حيث نقرأ هذه الفقرات: «**اللّهم اغفر لي الذنوب التي تُنزل النقم، اللّهم اغفر لي الذنوب التي تغيّر النعم، اللّهم اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء، اللّهم اغفر لي الذنوب التي تنزل البلاء**»[1].

تعلّمن من زوجة عمران !

على الأمهات المسلمات أن يتخذن من امرأة عمران قدوة حسنة، فالقرآن المجيد يروي لنا أن هذه المرأة الجليلة خاطبت ربها قبل أن تلد وليدها بالقول: ﴿**رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[2].

فقد نذرت أن تجعل جنينها وقفاً لله عز وجل.

---

(١) مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣٥.

ولكم أن تقارنوا بين النية الطيبة والمقدسة لهذه المرأة حيال جنينها، وبين بعض النساء الحوامل اللاتي يمارسن التدخين مثلاً، فيتسببن لأطفالهن في الإصابة بأنواع مختلفة من الأمراض، أو تلك المرأة المدمنة على المخدرات أو الخمر، أو تلك التي تتعمد الاستماع إلى الموسيقى المحرمة دوماً، فيكون محور تصرفاتها هو الممنوعات والمحرمات. فيا ترى أين سيكون طفلها، قياساً بطفل تلك المرأة الحامل التي لا يكلّ لسانها عن ذكر الله، وتأنس روحها إلى صوت القرآن الكريم؟ !

العاهات البدنية وسلوك الوالدين

إن الإعاقة البدنية التي تظهر على بعض الأطفال إنما هي في كثير من الحالات ناجمة عن الممارسات الخاطئة التي ترتكبها الأمهات، وقد قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه!**»[1].

فمنذ اليوم الأول يكون الوالد والوالدة مسؤولين تمام المسؤولية عن سعادة أو تعاسة أولادهما.

وقد كان متعارفاً في سالف الأيام أن تكون هناك سهرات ليلية عائلية يشارك فيها الصبية، تكون فيها برامج مبهجة بدنياً إلى جانب بعض البرامج التربوية المعنوية، حيث كان الكبار في العائلة يتلون على مسامع الصغار صفحات من كتب التاريخ أو الحديث أو الأخلاق، إلى جانب تناولهم الحلويات والأطعمة المختلفة، فكانت هذه وسيلة جيدة في ربط الصغار بالقيم والثقافة الدينية السليمة.

---

(١) بحار الأنوار، ج٥، ص١٥٧.

مسؤولية رب الأسرة

لقد كنا نشاهد في قديم الزمان أن العالم الديني حينما يمرّ في الأزقة يلتف الناس حوله، ليسألوه عما يهمهم من القضايا الدينية والمسائل الشرعية عموماً، ولكن هذه الحالة قد انحسرت إلى حد كبير جداً في زمننا هذا.

ولذلك؛ فإن من اللائق أن يهتم رب الأسرة، بأن يدعو أحد العلماء العارفين بالأمور الدينية إلى بيته من أجل تثقيف أولاده في كل أسبوع مثلاً، ليعرفهم على وظائفهم الدينية.

6





حقوق
الفئات المستضعفة





حق العبيد

مواصلة للرواية الكريمة، يتحدث الإمام السجاد عليه السلام عن طبيعة العلاقة بين الإنسان وبين من هم تحت سيطرته ورعايته، وأبرز مثل لذلك في تلك الحقبة الزمنية هم العبيد، يقول الإمام عليه السلام: «**وَ أَمَّا حَقُّ مَمْلُوكِكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ خَلْقُ رَبِّكَ وَابْنُ أَبِيكَ وَأُمِّكَ وَلَحْمُكَ وَدَمُكَ لَمْ تَمْلِكْهُ لِأَنَّكَ صَنَعْتَهُ دُونَ اللَّـهِ وَلَا خَلَقْتَ شَيْئاً مِنْ جَوَارِحِهِ وَلَا أَخْرَجْتَ لَهُ رِزْقاً وَلَكِنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ كَفَاكَ ذَلِكَ ثُمَّ سَخَّرَهُ لَكَ وَائْتَمَنَكَ عَلَيْهِ وَاسْتَوْدَعَكَ إِيَّاهُ لِيَحْفَظَ لَكَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ خَيْرٍ إِلَيْهِ فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ كَمَا أَحْسَنَ اللَّـهُ إِلَيْكَ وَإِنْ كَرِهْتَهُ اسْتَبْدَلْتَ بِهِ وَلَمْ تُعَذِّبْ خَلْقَ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1].

إن العبد وإن كان خاضعاً لمولاه من وجهة النظر القانونية، إلا أنه يتمتع بحقوق خاصة ينبغي أن ينالها. فهو مهما يكن، يبقى إنساناً ذا حرمة كسائر الناس، وليس هو من جهة الحرمة الإنسانية بأقل مرتبة من الآخرين. وعلى المولى أن يعرف بأنه ليس الخالق للعبد، ولا هو الرازق له.

إن العبد يخضع لأوامر سيده في الفترة التي يكون فيها تحت سلطته، حيث يكون موظفاً بإطاعة مولاه، ولكن المولى نفسه مسؤول تجاهه، ولا يمكنه بحال من الأحوال تخطي هذه المسؤولية. وفي واقع الأمر

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٥-١٣٤.

يمكن أن يقال بأن العبد أمانة بيد سيده، وعلى هذا السيد أن يرعى ويحفظ هذه الأمانة الإنسانية على أحسن وجه.

فكما أن الفرد يتحمل المسؤولية قبال أولاده، كذلك هو مسؤول عمن تحت سلطته.

وفي الحقيقة إذا أمعن الإنسان النظر جيداً في حكمة وجود الفئات الاجتماعية المختلفة التي أقرها الله سبحانه لإدارة شؤون المجتمع، فإنه لن يفخر بانتمائه الطبقي، بل يعتبر ذلك وسيلة لمد يد العون والمساعدة للآخرين الذين ينتمون لفئات اجتماعية أضعف.

ولو لاحظتم بدقة، تنوّع الحرف والأعمال في المجتمع، لوجدتموها مليئة بالعبرة والحكمة، فهناك من يحب حرفة الخبازة، وآخر يرغب في البقالة، وأحدهم يملك أرضاً، والثاني يزرعها، وهكذا فكل واحد من أفراد المجتمع يشبه إلى حد كبير عضواً من أعضاء بدن الإنسان.

فهذا البدن بحاجة إلى الأجفان كما هو بحاجة إلى الأظفار، ولا يصح أن يستحقر عضو عضواً آخر أو يستخف به، وإن كان يبدو أنه أعلى منه مرتبة أو أكبر أهمية، كما لا يحق له أن يدعي أن قوام الحياة متوقف عليه، وأن الأعضاء الأخرى لا أهمية لها دونه.

فالسيارة فيها عجلاتها وهيكلها وكراسيها وصندوقها الخلفي، وكل هذه الأعضاء إذا انضمت إلى بعضها اكتملت وصح أن يطلق عليها اسم السيارة.

إن العبيد في المجتمعات السابقة كانوا يُعدّون من الطبقات الاجتماعية الأدنى، ولكن وجودهم كان يساعد على تكامل المجتمع الإنساني، فالذين كانوا يعانون نقصاً ما من الناحية العلمية والثقافية،كانوا يخضعون

لإدارة وسلطة من لهم المكنة المالية والوسع الاقتصادي، كان على هؤلاء أن يرعوهم كما يرعون الأمانة والوديعة.

فالعبيد - كما جاء في الفقرة السابقة من الرواية - هم بمثابة أمناء على ودائع السادة، فكل رعاية يقدمها السادة لهم تكون كما المال الذي يوضع في صندوق ويحفظ ليعاد إليهم في الدار الآخرة.

وقد ورد في الأحاديث أن الإنسان حينما يمد يد المساعدة للمسكين، فإن هذا المسكين سيتحول تلقائياً إلى أمين وحافظ لتلك اليد الكريمة، حيث يعيده له في يوم القيامة، حينما يكون في أمسّ الحاجة إليه.

ومهما يكن؛ فإن قضية الرقيق قد مسخت في الوقت الحاضر وقد قضى عليها الإسلام بشكل تدريجي عن طريق التحريض على تحريرهم في مختلف المناسبات، ولكن التقسيمات الطبقية الاجتماعية لا تزال قائمة في كل المجتمعات بأشكال مختلفة، وكل ما يقال عن حقوق العبيد، يصدق بالنسبة للفئات الاجتماعية الأدنى مرتبة والأضعف قدرة بالقياس إلى الطبقات الأخرى.

إن الدول المتقدمة إذا ما قيست بالدول المتأخرة فإنه ينطبق عليها نفس الحالة، ولذلك كان عليها أن تستغل وتستفيد من تطورها وذخائرها الاقتصادية لمد يد المساعدة للدول الضعيفة والفقيرة بشكل يعود عليها بالفلاح في يوم الجزاء.

وكذلك الأمر بالنسبة للرجل في نطاق الأسرة الواحدة الصغيرة يجب أن يستفيد من قوته واقتداره ومشروعية قيموميته بصورة شرعية صحيحة، فلا تنتهي به إلى حالة من التفرعن والتكبر.

7





حقوق الوالدين





حق الأم

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَ أَمَّا حَقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَعْطَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُعْطِي أَحَدٌ أَحَداً وَوَقَتْكَ بِجَمِيعِ جَوَارِحِهَا وَلَمْ تُبَالِ أَنْ تَجُوعَ وَتُطْعِمَكَ وَتَعْطَشَ وَتَسْقِيَكَ وَتَعْرَى وَتَكْسُوَكَ وَتَضْحَى وَتُظِلَّكَ وَتَهْجُرَ النَّوْمَ لِأَجْلِكَ وَوَقَتْكَ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ لِتَكُونَ لَهَا وَأَنَّكَ لَا تُطِيقُ شُكْرَهَا إِلَّا بِعَوْنِ اللَّـهِ وَتَوْفِيقِهِ**»[1].

إن كل واحد منا كان في بطن أمه مدة معينة، صباحاً ومساءً، وفي فترة النوم واليقظة، تحملتنا أمهاتنا وهناً على وهن، كما كنا نتغذى من خلاصة قوتهن.

ومن جملة المسائل الخاصة بحمل الطفل كونه غير معلوم في بدايته أبداً، حتى أن الأمهات لا ينتبهن إلى حقيقة كونهن حوامل، مما يضطرهن إلى الاستعانة بالكشوف والتحاليل الطبية. ثم إن الحمل تتضاعف مشقته على الأم شيئاً فشيئاً، حتى تصل الأم إلى قمة الألم والإرهاق والمشقة لدى عملية الولادة وخروج الجنين إلى النور.

إن الأمهات يهبن من الحنان والعاطفة لأولادهن الشيء العظيم الذي

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٥.

لا يوصف، حتى أن الواحدة منهن قد تؤثر بحياتها من أجل ضمان سلامة ولدها؛ فهي -مثلاً- تبذل كل جهدها لئلا تقع على بطنها، لكي لا يتعرض الجنين للخطر، ولا يهمها أن تبقى جائعة بقدر ما تهتم بإشباعه.

الأمهات ومشكلة انخفاض نسبة الكالسيوم

حينما تبلغ الأم الأربعين أو الخمسين سنة من عمرها ستتعرض لاحتمال إصابتها بأمراض العظام والتهاب المفاصل وآلام الظهر وخواء الأسنان، وقد تكون العلة لذلك في أكثر الأحيان أن الأم قد أعطت جنينها في فترة الحمل معظم ما لديها من مادة الكالسيوم لنموه وتكامل بدنه.

فالكالسيوم مادة لا يستطيع بدن الإنسان تصنيعها بكميات كبيرة، ثم إنه لا يمكن تزريقه بهذه المادة من الخارج، لأن ذلك يعود بالضرر الفادح على الكلية ووظيفتها.

نعم؛ إن من الطبيعي والمتوقع إصابة الرجل والمرأة بآلام المفاصل وترقق العظام في سن الستين أو السبعين، ولكن المرأة إذا أصيبت بهذه العوارض في الأربعين من عمرها، فإن لذلك جذوراً تعود إلى فترة الحمل.

ووصيتي للأمهات أن يراقبن أنفسهن جيداً، وأن يجهدن ما استطعن في تناول المقويات اللازمة حتى لا يبتلين بالأمراض ذات العلاقة المباشرة بالحمل فيما بعد.

حنان الأمومة والولد العاق

إن حنان الأم يشمل حتى الأولاد العاقين، وقد نقل قبل سنوات أن ولداً عاقاً كان عزم على قتل أمه، وحينما تأكدت الأم من قصد ولدها العاق

هذا، قالت له: إن حياتي ليست مهمة بالنسبة لي،ولكن ما يثير هلعي هو أن العدالة ستنالك وتقتص منك !

وبناءً على هذا الحنان الذي لا يقف عند حدٍ؛ يشير الإمام السجاد عليه السلام إلى أن حق الأم على ولدها أن يعي ما تحملته الأم من أجله في فترة الحمل، وهو أمر لا يمكن أن يتحمله غير الأم. وأن يعي أيضاً كل ما واجهته الأم من مصاعب وآلام أثناء الولادة وبعدها من أجل الحفاظ على سلامته. ثم يشير الإمام عليه السلام إلى أن الإنسان ليس باستطاعته أن يشكر الأم على متاعبها إلا بتوفيق الله سبحانه.

تضحية أم هندية !

كتبت الصحافة ذات مرة أن سيلاً داهم إحدى القرى في الهند، مما اضطر الناس إلى البحث عن شيءٍ ينقذهم من هذا البلاء، فصعد العديد منهم فوق الأشجار، وكانت إحدى العوائل قد تسلقت غصناً ضخماً لشجرة عملاقة، ولكن ثقل وزن أفراد هذه العائلة كاد أن يكسره، وفجأة نزعت الأم في هذه العائلة أسوارها الذهبية عن معصمها وسلمتها إلى زوجها ثم رمت بنفسها إلى الماء الجارف لتخفف من مجموع الوزن وتنقذ أفراد عائلتها.

وبالوالدين إحساناً

حاولوا -أيها الإخوة والأخوات- أن تعتبروا الآيات القرآنية الكريمة والروايات والأحاديث الشريفة دستوراً يجب تنفيذه بإقبال ودقة، دون الاكتفاء بمجرد سماعها أو قراءتها أو نقلها.

فإذا كان آباؤكم أو أمهاتكم لا يزالون يتمتعون بنعمة الحياة، فاسعوا كل السعي إلى إجلالهما واحترامهما، فقد قال القرآن المجيد بهذا الصدد:

﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[1].

فعادةً ما تتحول روح الأب والأم إلى روح حساسة حينما يبلغان من العمر مبلغاً، حتى أنهما يعودان إلى ما يشبه مرحلة الطفولة، ولكن هذا التحول لا يكون داعياً لأن يصرخ الفرد بوجههما أويحملهما ما لا يطيقان.

الأب والبنت العاقة !

نقل لي أحد الأصدقاء أن بيته كان ضمن عمارة سكنية من عدة طوابق، وفي أحد الأيام سمع صوت بكاءٍ من بيت جيرانٍ له، وحينما أصغى جيداً تأكد أن رجلاً كبير السن هو الذي يبكي، فذهب وطرق باب جاره، وحينما فتح له الباب سأل: هل حدثت مشكلة لكم؟

فقيل له: إنه صوت أبي !

فسأل: أبوكِ؟ !

فقالت له جارته: إنني أضربه ! !

فتساءل صاحبي متعجباً: ولماذا؟ !

قالت: لقد ضقت ذرعاً به، فقد تورطت به منذ سنين عديدة، وهو الآن رجل مسن، ويسبب لي مشاكل وإحراجات لدى ذهابه إلى المرافق الصحية، بل إنه يلوث فراشه بالنجاسة في بعض المرات، ولذلك؛ فإنني أفقد أعصابي وينفذ صبري في بعض الأوقات، وأجدني مضطرة إلى

(١)سورة الإسراء،آية: ٢٣-٢٤.

ضربه ! لأنني مشغولة بالاهتمام بأطفالي وزوجي.

فاقترحت عليها قائلاً: سأساعدك من الآن، وسأزورك بانتظام لأرعى لك أطفالك، حتى تجدي فرصة أكبر للاهتمام بوالديك ! !

مثل باكستاني !

حينما يراد توجيه النقد لمن يلوم المسنين من الرجال والنساء في الباكستان، تتم الاستفادة من هذا المثل الذي يأخذ طابع القصة، فيقال له:

قالت الأم لبنتها: إن أمي التي هي جدتك قد بلغت من العمر عتياً، وكلما أردت أن أقدم إليها طعامها بطبقنا الخزفي، ارتعشت يداها حتى ألقت بالطبق إلى الأرض فكسرته، وها أنا ذا أعطيك مالاً لتشتري لها طبقاً خشبياً لتلافي هذه المشكلة.

فأجابتها البنت بعد أن عادت من السوق: لقد اشتريت طبقين: أحدهما لجدتي، والآخر لك يا أماه لأنك ستكونين بحاجة إليه في المستقبل القريب ! !

حق الأب على الأولاد

ويشير الإمام علي بن الحسين عليه السلام في تتمة حديثه إلى حقوق الأب على أولاده فيقول: «**وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَصْلُكَ فَإِنَّهُ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ فَمَهْمَا رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ مَا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ فَاحْمَدِ اللَّـهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1].

إن الأب هو أصل الإنسان، وبالرغم من كل ما تتحمله الأم من مصاعب الحمل، وآلام الولادة، ومشاكل الرضاعة والتربية، إلا أن الأب يبقى هو الأصل في ولادة الطفل، فلو كان الأب عقيماً لما حملت الأم بالولد. فكلما يملك الإنسان من مقومات حياتية من العلم، والمال، والشخصية الاجتماعية، فإنه فرع وجوده في الحياة، ووجوده يعود إلى الأب، لذلك كان على الإنسان أن يشكر أباه أيضاً، ويحسن إليه، ولا ينسى فضله عليه.

دور المعرفة في احترام حقوق الآخرين

من أجل حفظ واحترام الحقوق التي أحصيناها حتى الآن، من اللازم على الفرد أن يكون عارفاً معرفة كافية بهذه الحقوق، فالتأكيد المتكرر من قبل الإمام زين العابدين عليه السلام على جزئيات الأمور وطلبه من المستمع أن

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٥ .

يمعن النظر -مثلاً- في دور الأب والأم في وجود ونمو واستمرار الولد في الحياة، يشير إلى أن لوعي هذه الحقائق دوراً مباشراً في التزام الفرد بهذه الحقوق.

ففي بعض الأحيان ترى الإنسان يؤدي صلاته بداعي الجبر أو العادة أو التقوى على الصعيد الفردي، ولكنه قد لا يعي الهدف من الصلاة، في حين أنه إذا سبقت منه المعرفة بالصلاة وبفوائدها وآثارها الايجابية في حياته، فإنه -لا شك- سيطرد عنه روح الكسل والخمول، ويؤدي صلاته بكل رغبة وحضور قلب.

فأداء الحقوق ورعايتها قائم على مستوى المعرفة بالشخص ذي العلاقة والاستحقاق، وقد وردت الأحاديث والروايات عن النبي وأهل بيته عليهم السلام، لتزيدنا وعياً ومعرفة بمسؤولياتنا وواجباتنا تجاهالآخرين.

وفيما يرتبط بحقوق الوالدين قال رسول الله -: «**النظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة**»[1].

حتى وإن كان الأب منحرفاً أو كافراً، فإن من مسؤولية الولد الصالح أداء حقه تجاهه.

فقد قيل للإمام الرضا عليه السلام: أدعو لوالديّ إذا كانا لا يعرفان الحق؟ فقال الإمام: «**ادع لهما وتصدّق عنهما، وإن كانا حيين لا يعرفان الحق فدارهما، فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إن الله بعثني بالرحمة لا بالعقوق**»[2].

---

(١) بحار الانوار، ج٧١، ص٧٣، ح٥٩.
(٢) بحار الانوار، ج٧١، ص٤٧، ح٨.

إصلاح القاعدة الاجتماعية

إن ما جاء من وصايا الإمام زين العابدين عليه السلام في مجال حقوق الأسرة، تضمن إصلاح اللبنة الأولى في البناء الاجتماعي، وهي الأسرة؛ فحينما تصلح العلاقة بين الأب والأم والأولاد، والزوج والزوجة، تصلح تبعاً لها العلاقة بين ومع الأقارب والأصدقاء، بحيث تصل هذه العلاقة إلى قمة التطور والتسامي، وبالتالي سيصلح المجتمع برمته، ويقترب من السعادة خطوةً فخطوة، لأن الجميع بمثابة حبات العقد المتصلة مع بعض.

8



حقوق الأولاد والإخوان



حق الولد

يشير الإمام عليه السلام إلى حق الأولاد على الوالدين فيقول: «**وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»[1].

فالأب -بادئ بدء- يجب أن يعلم بأن الولد جزءٌ منه.

وقد أوصى أمير المؤمنين عليه السلام ولده الإمام الحسن المجتبى عليه السلام قائلاً: «**وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي**»[2].

وهاهو علم النفس يؤكد بهذا الصدد أن صفة الحسد خصلة دفينة في أعماق روح الإنسان، شاء أم أبى. فهو وإن لم يمارس هذه الرذيلة، إلا أنها تبقى دفينة فيه، فإذا ذُكر أحد زملائه في المدرسة بالخير والثناء، قال في داخله: وماذا عنّي أنا؟ !

وقد أصبح متعارفاً بين بعض الشعوب لدى ذكر أحدٍ بخير في محضر شخص آخر أن يُقال: إن فلاناً -وليس أفضل منك- إنسان صالح !

ويُراد في واقع الأمر من خلال الاستفادة من هذه الطريقة وهذا الاستثناء

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٥.
(٢) نهج البلاغة، رسالة رقم٣١.

تحاشي استفزاز وإثارة رذيلة الحسد في المستمع.

وقد تكون الحالة الوحيدة التي لا تثير الحسد في الإنسان هي أن يذكر المرء شخصاً ما بالصلاح أو التفوق أمام أبيه، حتى وإن كان هذا الأب غير متصف بالصفة الخيرة التي ذكرت لابنه، حيث سيقول في سريرته: إن ما يملكه ابني ويمتاز به إنما جاءه مني، ومهما يكن فإن السبب في ذلك يعود لي في نهاية الأمر.

ثم يخاطب الإمام علي بن الحسين عليه السلام الأب بقوله: «**وَأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وُلِّيتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَالدَّلَالَةِ عَلَى رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْمَعُونَةِ عَلَى طَاعَتِهِ فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُثَابٌ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ مُعَاقَبٌ عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ**»[1].

وهنا نلاحظ أن الإمام عليه السلام يشير إلى مسؤولية التأديب الحسن قبل مسؤولية الدلالة على الله سبحانه، ولعل الوجه في ذلك، أن حسن الأدب والتربية الصالحة مقدمة على الدلالة على الله سبحانه وتعالى. فالطفل يعرفه أبواه في المرحلة الأولى على الآداب الحسنة والأخلاق الإسلامية وكيفية التعايش الصحيح مع الآخرين، ثم يعلمانه في المرحلة الثانية علم التعرف على الله ربه عز وجل.

إن حقيقة الدين هي معرفة الله، وجميع أبعاد الدين تبدأ أو تقوم على أساس هذه المعرفة، أما معرفة النبي والإمام والمعاد وغير ذلك فهي تابعة لمعرفة الله سبحانه وتعالى.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٥.

تكريس محورية معرفة الله

هنا ينبغي توضيح قضية مهمة وضرورية، وهي تعود إلى أهمية معرفة الله سبحانه وتعالى فيما بيننا، حيث انتشرت في أوساطنا مقولات غير صحيحة، مثل أن نقول: إن الصلاة نوع من الرياضة البدنية، وإن الوضوء لصلاة الصبح يبعث على النشاط، وإنه مفيد لأجسامنا حيث نستنشق نسيم الصباح.

لكن هذا الاستخفاف اللاواعي للأعمال العبادية غير صحيح بالمرة، إذ لا علاقة للصلاة برياضة البدن ومرونته ونشاطه أبداً، فحق الله على الإنسان أن يتعبده عبر الصلاة ويشكر نعماءه من خلالها،ولا يصح الترويج لهذا النوع من الخلط بين الدين والدنيا.

ولا يشرك بعبادة ربه أحداً

طلب أحد طلاب الحوزة العلمية مني ذات مرة أن أنصحه نصيحة مهمة، فقلت له: حاول أن تبتعد دائماً عن خلط الدين بالدنيا، فإذا قصدت المسجد، فاقصد الله سبحانه وتعالى فقط.

وقد روي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «**كَانَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا تَوَضَّأَ لَمْ يَدَعْ أَحَداً يَصُبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِمَ لَا تَدَعُهُمْ يَصُبُّونَ عَلَيْكَ الْمَاءَ فَقَالَ لَا أُحِبُّ أَنْ أُشْرِكَ فِي صَلَاتِي أَحَداً وَقَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾**[1]»[2].

---

(١) سورة الكهف : آية: ١١٠.

(٢) وسائل الشيعة، ج١، ص٤٧٧.

وقد يخطر في أذهان بعض الخطباء أنه حينما يرتقي المنبر للخطابة سيفيد الآخرين بنصائحه من جهة، وسيكسب شيئاً من المال والربح المادي من جهة ثانية، فتستمر عجلة حياته المعاشية، ثم سيرضى الرب عز وجل عنه!

إنني لا أدعي أن نمتنع أو نعطّل ارتقاء المنبر بهذه الطريقة، ولكنني أقول بضرورة ووجوب الإخلاص للّـه سبحانه وتعالى حينما نصعد المنبر.

وأعود مؤكداً بأن الأب -في إطار تربية الأولاد- يجب أن يبدأ منذ اليوم الأول فيوضح لهم ويرشدهم إلى أن الصلاة والعبادة أمر خاص بالله وحده، وهكذا يجب أن تؤدّى. وهكذا حال الصيام،حيث يجب أن يمتثل به أمر الله، وليس لتحقيق وإحراز الفوائد الصحية والبدنية منه.

ينبغي أن تكون النية في أداء المستحبات، بل وحتى مزاولة المباحات في الحياة مصطبغة بصبغة الله تعالى. فلا شيء أفضل من هذه النية، بل حتى عملية تنظيف البيت مثلاً ينبغي أن يقصد بها وجه الله تعالى، انطلاقاً من قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**النظافة من الإيمان**»[1].

كيفية تعليم الدين للأولاد؟

ينبغي أن نولي أسلوب توضيح وتعريف الدين للأولاد أهمية خاصة، ذلك لأن تعليم الدين للأولاد يختلف عن أساليب تعليمه للآخرين.

فالواعظ حينما يخطب على المنبر، فإنه يكتفي بالموعظة الشفهية والنظرية، ولا يستفيد من أمواله لأداء هذه المهمة، فتراه يصب كل جهده اللفظي على الأمر بطاعة الله سبحانه وتعالى وتبيين العقاب على معصيته،

(١) بحار الأنوار، ج٥٩، ص٢٩١.

وعلى التهديد بأليم العذاب لتارك الصلاة والصيام مثلاً. ولكن هذا الواعظ نفسه حينما يريد ترغيب أولاده بالالتزام بالمسائل الدينية، فإنه يخصص لهم جوائز وهدايا قيمة، كأن يهدي لأحدهم ساعة -مثلاً- إذا وجده مهتماً بصلاته، أو يمنح ابنته ثمن العباءة إذا ما أراد لها ارتداء الحجاب، أو أن يهدي لولده هدية ثمينة إذا ما صام سنته الأولى بعد البلوغ.

فإذا كان الوالدان يبذلان الغالي والنفيس لمداواة ولدهما المريض جسدياً، فلماذا لا يمهدان الأرضية المناسبة، ويصرفان الأموال اللازمة لتقريب الدين لذهن وروح أولادهما؟ !

إن هناك توقعاً لدى الكثير من الرجال في أن يتعلم أولادهم مسائل الدين والشريعة مجاناً، في نفس الوقت الذي يكون فيه أحدهم مستعداً لأن يبذل المبلغ الطائل لشراء جهاز التلفاز وباقي الأجهزة والاحتياجات وحتى الكماليات المنزلية، بل ويبدو له من غير المعقول أن يخصص لأحد المعلمين أو علماء الدين مبلغاً شهرياً -مثلاً- ليعلم أولاده مسائل الفقه وأحكامه، أو يحفظه الآيات القرآنية والروايات الشريفة. إن هذا التوقع توقع غير صحيح بالمرة، حيث ننتظر أن يتعلم أولادنا معالم دينهم بالمجان !

إن البعض من الآباء يبذلون كل سعيهم ليتمكن أولادهم من السفر إلى الدول الأوروبية، ولكنهم لا يبدون نفس الإصرار لتمكين أولادهم من السفر إلى الحج.

وفي الفقرة الثالثة من حديث الإمام السجاد عليه السلام حول حقوق الأولاد، يقول: «**فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُثَابٌ عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَيْهِ مُعَاقَبٌ**

عَلَى الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِ»[١].

فرغم أن تربية الأولاد وتعليمهم الآداب والعقائد من واجبات ومسؤوليات الوالدين، إلا أن الله سبحانه وتعالى يثيبهم على ذلك أيضاً.

وعندما يكون الدافع الحقيقي لتحرك الإنسان في الدنيا هو نيل الثواب والتخلص والفرار من العقاب، فعليه أن يعلم بأنه يواجه أمرين:

الأول: أنه يستحق الثواب لما قام به من عمل إيجابي.

الثاني: أنه أثبت بهذه الطريقة إيمانه بيوم القيامة.

ونحن كأفراد عاديين ينبغي أن نعرف أننا نعجز أن نكون في أمر العبادة كالإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو كان يعبد ربه العلي الكبير لا طمعاً في جنته ولا خوفاً من ناره، وإنما كان يعبده لأنه كان يعرفه أهلاً للعبادة.

انظروا إلى هذا المقطع من **(دعاء كميل)** المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام وما فيه من أفق تربوي وحكمة سامية، حيث يقول الإمام مخاطباً ربه عز وجل: «**وَهَبْني صبرتُ على حرَّ نارِك، فكيف أصبر عن النظر إلى كرامتك**»[٢].

وبالطبع؛ ليس مقصود أمير المؤمنين عليه السلام أن أحداً ما قادر على تحمل نار جهنم والصبر على أليم عذابها، إذ لا أحد له هذه القدرة، ولكن المقصود أنه لو استطاع مقاومة نار جهنم الحارقة، فهو لا يستطيع مقاومة الحرمان من النظر إلى كرامة الله والانسلاخ منها أو الافتقار إلى رحمة الرب العظيم.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٥.

(٢) مفاتيح الجنان، دعاء كميل.

وقد روي أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كان جالساً، فعرض له عارض من الهم، فتساءل: من أين أتاه ذلك؟

ثم إن الإمام راجع مسؤولياته وأعماله اليومية المعتادة ليرى ما هو السبب في ظهور هذا الهم.

وهذه الرواية تعلمنا أن كل همٍّ وغمٍّ أو مصيبة أو فرح يطرأ على الإنسان له سبب معين وعلة خاصة؛ بل إنه إذا تعرض إلى جرح صغير في طريقه، فليعلم أن جذره وسببه في ذاته هو، وعليه التعرف عليه خلال عملية محاسبة النفس.

وحتى إذا أصابه نفع ما، فعليه أن ينسبه إلى أحد أعمال الخير التي كان قد قام بها. ولذلك؛ يكون من الجدير به أن يكرر أعمال الخير في سلوكه اليومي، ويكرسها في حياته، ليضاعف عليها النفع في الدنيا والثواب في الآخرة.

إن ما يميّزنا عن الناس البدائيين هو أننا نستطيع اكتشاف العلاقة المنطقية بين الوقائع والأحداث التي تقع في الحياة؛ فالإنسان البدائي كان إذا فقد ابنه -مثلاً- في حادثة طارئة، زعم بأن سبب ذلك هو أن القمر كان في برج العقرب، أو أن الأفعى كانت جاثمة على الشجرة الفلانية ثم انتقلت إلى الشجرة المحاذية لها، وما أشبه ذلك ! !

ولكن تعاليم الأنبياء والرسل والأئمة عليهم السلام دفعت بني آدم شيئاً فشيئاً إلى تحكيم العقل لدى النظر إلى الأحداث والتحولات الفردية والاجتماعية، ولا تنافي بين النظرتين والصورة أعمق من ظاهر ما يبدو للعيان الحسي كما هو دأب العقلانية المادية، إلا إذا كانت العقلانية المادية **(الظاهرية)**

حاجباً عن النظرة الأعمق النافذة إلى حكمة التدبير الإلهي للكون. فكان من تعاليم القرآن الكريم للإنسان قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ**﴾[1].

بمعنى أن كل مصيبة تواجهكم لها جذورها التي تعود لسوء تصرفاتكم أنتم.

فالعذاب والعقاب يصيب الفرد في حالة غفلته عن ربه، في حين أن من يتذكر الله سبحانه وتعالى دائماً مصون عن سوء البلاء لا أصل الابتلاء.

فإذا بلغ الإنسان مرتبة يكون فيها ذاكراً للَّه في ساعات ولحظات يومه كلها، كان محصناً بحصن الله العزيز الحكيم.

وما أروع أن ينوي الإنسان التقرب إلى الله زلفى حتى حينما يمنح أولاده شيئاً من المال لدى ذهابهم إلى مدرستهم فيقول في نفسه: إنني أنفق هذا المال لوجه الله تعالى بهدف أن يتعلم أولادي، العلم الصالح والبصيرة الإلهية.

---

(١) سورة الشورى، آية: ٣٠.

حق الأخ

ثم يشير الإمام السجاد عليه السلام إلى حق الأخ - والظاهر أن المقصود بالأخ هنا هو الأخ النسبي- فيقول: «**وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ فَإِنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ يَدُكَ وَعِزُّكَ وَقُوَّتُكَ فَلَا تَتَّخِذْهُ سِلَاحاً عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّـهِ وَلَا عُدَّةً لِلظُّلْمِ لِخَلْقِ اللَّـهِ وَلَا تَدَعْ نُصْرَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَالنَّصِيحَةَ لَهُ فَإِنْ أَطَاعَ اللَّـهَ وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللَّـهُ أَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1].

فالإمام عليه الصلاة والسلام يحذر الفرد من الطغيان والظلم وارتكاب المعصية في حالة استشعاره القوة جراء كثرة الإخوان.

إن من الجدير بالإخوان أن يتفقوا ويضعوا يداً بيد في إطار إنجاز الأعمال الصالحة والمشاريع الخيرية، كأن يقوموا بتأليف مشترك لكتاب نافع، أو أن يساهموا في بناء مسجد ومدرسة،فقد تكون النتائج باهرة جداً إذا بذل الإخوة مجتمعين جهودهم في مسيرة خيِّرة واحدة.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٥.

9





حقوق
ذوي الفضل عليك





مرحلتان في عملية التشريع

رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام تمهد الأرضية المناسبة لعملية التشريع في مختلف الشؤون الاجتماعية، حيث يطوي المشرّع في هذا المجال مرحلتين أساسيتين في مهمته:

الأولى: هي مرحلة تحديد القيم التي ترسم الأهداف المقدسة للقانون.

والمرحلة الثانية: تلك التي تخص التقنين والتشريع بتفاصيله.

ورسالة الحقوق هذه تختص أكثر ما تختص بتبيين القيم التي ينبغي أن يستفيد منها المشرّع في عملية التقنين، فتلك القيم تتصف بالثبات والاستمرارية على طول المدى، رغم التفاوت الحاصل في عملية التطبيق.

إن الدين الإسلامي دين يمتاز بتبيين الموضوعات الكلية التي لا يؤثر فيها الزمن أبداً.

ففي مجال الطهارة -مثلاً- وطبقاً لفتاوى الفقهاء والمجتهدين، يعتبر الماء أهم وسائل التطهير، وفي هذا المجال وردت آية قرآنية كريمة تقول: ﴿**وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً**﴾[1].

أما الروايات والأحاديث؛ فقد استخدمت لفظة (**غسل**) مؤكدة أن عملية

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

التطهير والغسل لابد أن تتم بالماء، وبالطبع فإن ماء الورد ليس فيه خاصية التطهير، باعتباره عصارة للورد، فيما يدخله تحت عنوان الماء المضاف.

ولكن القرآن الكريم لم يشر إلى الغسل بلفظه الصريح، وإنما استفاد من لفظة التطهير والتطهر، حيث قال: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾[1]. وهذا التعبير يتفق ويتناسب والتطور العلمي الحاصل اليوم واختراع المواد المنظِّفة والمطهِّرة. فإذا واجهتنا شحة في الماء في يوم من الأيام كان بإمكاننا الاستعانة بالتراب أو بعض المواد والسوائل الكيميائية الأخرى التي من شأنها الإيفاء بالغرض، وكذلك الأمر بالنسبة للحرارة والبخار، إذ القرآن الكريم لم يسد الباب بوجه الفقيه في هذا الإطار، بل إنه قد أيّد ذلك بشكل غير مباشر.

وقد أكدتُ في (**كتاب الطهارة**) إمكانية التطهير بأية وسيلة تؤدي الغرض المطلوب وتزيل عين النجاسة بشكل كامل، من دون الحاجة إلى الماء.

ثم إن الكتب الفقهية قد أشارت إلى بعض المطهرات -غير الماء- كالأرض والشمس، علماً أن الروايات والأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام قد ذكرت أربعة وعشرين نوعاً من المطهرات.

وعموماً؛ فإننا لا نقف أمام تعبير (**الغسل**) موقفاً جامداً، وإنما نؤكد على كلمة (**التطهير**) العامّة الشاملة.

لا شك أن المسائل الاجتماعية والآداب والتقاليد لدى الشعوب والأمم المختلفة تتفاوت نسبياً، فقد نجد في بعض البلاد -مثلاً- أن الولد يمتنع عن الجلوس ويستمر واقفاً احتراماً لأبيه الجالس، ولكن أئمتنا

(١) سورة المدثر، آية: ٤.

المعصومين عليهم السلام لم يقفوا عند حالة أو نوع واحد من أنواع وأشكال الاحترام المفروض، فهم قد شرعوا موضوع احترام الأب من قبل الأولاد بصورة كلية، وأوكلوا التطبيق للأفراد، كلاً حسب عرفه وتقليده وما يرتئيه من مصداق مناسب يحفظ للوالد حقه وحرمته في التقدير والاحترام والإكبار.

إذن، فإن الرواية المنقولة عن الإمام زين العابدين عليه السلام حول الحقوق تهتم بتوضيح وتبيين القيم العامة التي تشكل أساس التشريع في كل العصور، وهذه القيم هي التي تساعد الفقيه وتلهمه خلال عملية التقنين التفصيلية.

بين الفقه والأخلاق

إن الفصل بين الفقه والأخلاق الذي يعتبر أمراً متعارفاً في الوقت الحاضر يمثل حالة خاطئة جداً، فالفقه إنما هو برنامج تفصيلي لتطبيق الأخلاق الحسنة وتحقيق العدالة التي أشار الله سبحانه وتعالى إليها في كتابه المجيد: ﴿**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى**﴾[1].

فالأئمة المعصومون عليهم السلام حينما يتحدثون في الأمور الفقهية فإنهم لا يفصلونها أبداً عن الأخلاق، ولا بأس بالإشارة إلى شاهد في هذا المجال.

تعرفون أن من مبطلات الوضوء خروج أحد الأخبثين من الإنسان، ولكن الأئمة عليهم السلام حينما يريدون توضيح هذه المسألة الفقهية والإشارة إلى مخرجي البول والغائط اللذين قد يكره المرء ذكرهما أو يخجل من

(١) سورة النحل، آية: ٩٠.

التطرق إليهما، يقولون: المخرجان اللذان أنعم الله سبحانه وتعالى بهما عليك.

فالأئمة -في واقع الأمر- يريدون من خلال التذكير بنعم الله على الإنسان المزج بين الفقه والأخلاق، وهذا الأسلوب له فائدته الكبرى وتأثيره العظيم.

وحق المنعم بالولاء

ثم يشير الإمام السجاد عليه السلام إلى الحقوق المتبادلة بين بعض الفئات الاجتماعية التي تربطها علاقات خاصة معينة كعلاقة العبيد المحررين بمن قام بتحريرهم.

ويبدو أن مصداق العلاقة المشار إليها في الفقرة القادمة،لا وجود له في الوقت الحاضر في ظاهر الأمر، إذ كان قديماً، حيث كانت ظاهرة الرق والرقيق والعبودية ظاهرة اجتماعية طبيعية، فكان بعض الأفراد الخيرين يبذلون أموالهم لتحرير العبيد، وكان الإمام السجاد عليه السلام على رأس قائمة هؤلاء الخيرين، كما جاء في الروايات، إذ أخذ على عاتقه شراء وتعليم وتهذيب وتحرير ألف عبدٍ في كل سنة،فيقول الإمام عليه السلام: «**وَأَمَّا حَقُّ مَوْلَاكَ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ وَأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ وَوَحْشَتِهِ إِلَى عِزِّ الْحُرِّيَّةِ وَأُنْسِهَا فَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ الْمَلَكَةِ وَفَكَّ عَنْكَ قَيْدَ الْعُبُودِيَّةِ وَأَخْرَجَكَ مِنَ السِّجْنِ وَمَلَّكَكَ نَفْسَكَ وَفَرَّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ وَتَعْلَمَ أَنَّهُ أَوْلَى الْخَلْقِ بِكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ وَأَنَّ نُصْرَتَهُ عَلَيْكَ وَاجِبَةٌ بِنَفْسِكَ وَمَا احْتَاجَ إِلَيْهِ مِنْكَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1].

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٥.

فهناك البعض من العبيد من هو على مستوى عالٍ من الذكاء والحيوية والفاعلية، وهم ما أن ينالوا حريتهم حتى تكون فيهم الفائدة الكبرى لأنفسهم وللمجتمع، فلا يُستبعد أن يدخلوا مضمار الصناعة أو التجارة بعد تحررهم، فيحققوا نجاحاً مالياً كبيراً. وهنا يجب عليهم أن يكونوا أوفياء لمن حرروهم إذا ما ضاقت بهم الأمور.

وقد يصدق العكس لهذه الحالة؛ فإذا ساهمتَ في تحرير أحد العبيد، فعليك أن تعرف أن هذا العبد كان وسيلة لتقربك إلى الله تعالى ولنيل الثواب في الآخرة. يقوم الإمام السجاد عليه السلام: «**وَأَمَّا حَقُّ مَوْلَاكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ عِتْقَكَ لَهُ وَسِيلَةً إِلَيْهِ وَحِجَاباً لَكَ مِنَ النَّارِ وَأَنَّ ثَوَابَكَ فِي الْعَاجِلِ مِيرَاثُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ مُكَافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَ مِنْ مَالِكَ وَفِي الْآجِلِ الْجَنَّةُ**»[1].

جدير بالذكر أن العبيد الذين يؤتى بهم من غير البلاد الإسلامية إذا حررهم مسلم من المسلمين، ثم إنهم توفّاهم الله عز وجل، ولم يكن لهم وارث بالنسب والقرابة، كان الذي حررهم أولى الناس وأحقهم بميراثه.

التحرير في العصر الراهن

يبدو أنه بالإمكان الاستفادة من هذا المقطع من الحديث في العصر الراهن أيضاً، وذلك في حالات مشابهة. ففي كل يوم نرى أفراداً في المجتمع يتعرضون للانتكاسات الاقتصادية والعجز المالي جراء ما يترتب عليهم من صكوك مصرفية لا رصيد لها، أو ما يتوجب عليهم من ديون ثقيلة يعجزون عن تسديدها، الأمر الذي ينتهي بهم إلى المحاكم

(١) المصدر.

والسجون، ولذلك فإن الخيرين من أبناء المجتمع بمستطاعهم إنقاذ هؤلاء من الفضيحة أو الحبس ومواجهة المشاكل النفسية، فيسددون عنهم ما تعلق بذممهم، حيث يُعتبر هذا العمل أشبه شيء بالعتق والتحرير.

ذم المنّ

وهنا ينبغي الانتباه إلى أن من الخطأ تحميل من ساعدناه في حياته المنّ أو الأذى. هذا من جانب، ومن جانب آخر ؛ ترانا نفر ممن أسدى إلينا خدمة معينة، لأننا قد نحس بأن ما قام به لم يكن إلا واجباً عليه، في حين أن شكر المخلوق بمثابة المقدمة لتقديم الشكر إلى الخالق، وقد ورد عن الإمام عليه السلام أنه قال: «**من لم يشكر المخلوق لم يشكر الخالق**»[1].

(١) ميزان الحكمة، ج٢، ص١٤٩٣.

حق ذي المعروف عليك

الامتنان من الخلق

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَأَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَأَنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وَتَكْسِبَهُ الْمَقَالَةَ الْحَسَنَةَ وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ثُمَّ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى مُكَافَأَتِهِ يَوْماً كَافَأْتَهُ**»[1].

إن من المناسب جداً أن تشكر من أسدى إليك خدمة أو قدّم لك معروفاً، وأن تشعر في قرارة نفسك بأهمية الخدمة التي قدمها لك، وأن تذكره بكلمة حسنة، وتدعو له بالخير، كأن تقوم -مثلاً- في منتصف إحدى الليالي فتصلي ركعتين لوجه الله وتهديه ثوابهما.

فالطبيب الذي كان له دور مهم في علاجك، والعالم الذي قام بنصحك وإرشادك إلى ما فيه كبير منفعتك، والتاجر الذي أقرضك من المال وأنقذك في الموقف الحرج، وغير هؤلاء ممن يشبهونهم، لهم الحق عليك، ويجب أن تهتم برد جميلهم عليك ما أمكنك، سراً أو علانية، فإذا عادت دورة الزمان واحتاجوا إلى مساعدتك، فعليك أن تحسن لهم ولا تردّهم لأن الإحسان هو جزاء الإحسان.

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٦.

لا تغفل عن العقاب

نقل والدي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: سافر فيما مضى من الزمان رجلان بقالان من مدينة قم إلى مدينة كاشان في إيران، وفي منتصف الطريق نفذ ما كان عندهما من الماء، فغلب عليهما العطش، وأغمي على أحدهما حتى سقط أرضاً، ولكن الرجل الثاني تمكن من إيصال نفسه إلى إحدى القلاع القديمة التي كانت تتخذ مقراً لاستراحة القوافل في تلك الأطراف، فرأى رجلاً رحالةً قرب الماء وأمامه قدح فيه عصير فواكه مثلج، فهجم البقال بما بقي لديه من رمق وقوة على قدح العصير، ولكن الرجل الرحالة أخذ القدح ومنعه من تناوله قائلاً: «**إن القدح كله لك، ولكن لا يصح أن تشرب منه وأنت بهذه الحالة من الهلاك والإعياء، لما فيه من الخطر على سلامتك والضرر على صحتك**»[1].

ثم إنه سقاه الماء شيئاً فشيئاً وغسل له وجهه، فنطق لسان البقال الذي قال: إن لي صديقاً قد سقط على مقربة منا من شدة الإعياء، فاذهب إليه وأنقذه.

فسارع الرجل الرحالة إلى البقال المغشيّ عليه حيث عثر عليه وروحه تكاد تفارقه، فرشّ على وجهه قطرات من الماء حتى عاد إلى وعيه ورجعت فيه الحياة.

وبعد مرور ثلاثين عاماً على وقوع هذه الحادثة، كان ذلك الرجل الرحالة قد حوصر بالثلج والجليد في منطقة نيشابور شمال شرق إيران وكانت

---

(١) أقول: كنت أمشي ذات مرة في طريق صحراوي فغلب عليّ العطش، فأوصلت نفسي إلى خيام كانت لجماعة من البدو الذين صادف وجودهم مروري، فطلبت منهم ماءً، فقالوا لي: لا نعطيك الماء لأن فيه ضرراً عليك. ثم أجلسوني مدة ربع ساعة حتى جاؤوا بالشاي وقالوا: اشرب هذا الشاي أولاً ثم اشرب الماء، لأن الإنسان إذا هجم على الماء بغتة وهو في مثل حالتك أصيب بالعمى الكلي، أو بضعف النظر على أقل تقدير.

القافلة التي سافر ضمنها قد تعرضت للحالة نفسها،فقال رئيس القافلة لمن تحت قيادته: كل من أراد النجاة فلينجُ بنفسه وليختفِ في مكان، ومن لم يستطع ذلك فالموت خيرٌ له.

ثم إن الرجل الرحالة أوصل نفسه بعد الكثير من المشاكل والمعاناة إلى مكان استراحة القوافل، فعلم عمال وخدمة هذا المكان بوصوله، فقادوه إلى إحدى الغرف التي كانت بمثابة مجلس دافئ معدٍ لفصل الشتاء، وكانت فيها طاولة وضع عليها الغذاء الحار، فجلس الرجل وتناول من الغذاء الذي قدم له، بعد أن اطمأنت نفسه، وبعد أن كان عاجزاً عن التعرف على الأشخاص. وما أن عادت إليه الحياة خاطبه بعض الذين كانوا على مقربة منه: هل عرفتنا؟ فأجاب بالنفي. فقالا له: نحن اللذان أنقذتنا في صحراء كاشان وسقيتنا من الماء بعد أن كادت أرواحنا تزهق، وقد دارت عجلة الزمن لنقوم نحن بإنقاذك كما أنقذتنا.

ومن هذه القصة نستطيع أن نعرف بأن الدنيا يمكن أن تكون داراً للجزاء، وأن ما نعطيه بيد نستلمه باليد الأخرى.

ومن ناحية أخرى؛ فإن الإنسان الذي تقدم له الخدمات يجب أن يضع في حسبانه ضرورة ردّ هذه الخدمات على أفضل وجه في يوم من الأيام.

10





حقوق اجتماعية





حق المؤذّن

ثم يبين الإمام علي بن الحسين عليه السلام حقوق الأفراد الذين يؤدون الخدمات الاجتماعية العامة.

إن أسلوب كلام أهل البيت عليهم الصلاة والسلام الذي ينبع من الوحي، ينبغي أن يكون لنا درساً ناصحاً، فرغم أن كلام الإمام السجاد عليه السلام يدور حول الخدمات الاجتماعية، إلا أن الإمام لا يعتبر الخدمات الاجتماعية بعيدة عن الخدمات والفرائض الدينية، فهي في مطلع قائمة الخدمات الاجتماعية .

فبعد البحث فيما يخص قضية الرق والتحرير، يقول الإمام عليه السلام حول حق المؤذّن: «**وَ أَمَّا حَقُّ الْمُؤَذِّنِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مُذَكِّرٌ لَكَ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

فالمؤذّن بندائه الخالد: «**حيَّ على الصلاة**» له المنزلة الكبيرة والقيمة الخاصة، حيث يلفت انتباه الإنسان ويذكره بدخول وقت الصلاة ولزوم التوجه إلى المسجد.

ثم يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَدَاعٍ لَكَ إِلَى حَظِّكَ**»[2].

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.

فالمؤذّن هو من يوجهك نحو الله عز وجل، ويذكرك بنصيبك وفائدتك من الصلاة.

ثم يقول عليه السلام: «**وَعَوْنُكَ عَلَى قَضَاءِ فَرْضِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكَ**»[١].

وهو المعين على أداء الواجبات.

ثم يقول عليه السلام: «**فَاشْكُرْهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَ الْمُحْسِنِ إِلَيْكَ**»[٢].

فالجدير هو إبداء الشكر للمؤذّن، فإذا كان المؤذن موضع شكر وتقدير واحترام من قبل المجتمع، رغب الجميع في القيام بعملية الأذان.

ولكن اليوم مع وجود أشرطة الكاسيت أو جهاز الراديو، فإن خدمة المساجد يكادون يكتفون بها ويستغنون عن الصوت المباشر للمؤذنين، ولعل الأسوأ من ذلك أنهم -بعد تشغيل جهاز الراديو لبث الأذان- قد ينشغلون بعمل آخر، مما قد يؤدي إلى تعالي أصوات الموسيقى -مثلاً- بعد انتهاء الإذاعة من بث الأذان المسجَّل وغفلة مسؤولي المسجد.

وهناك دول إسلامية يمنع فيها بث الأذان المسجل على الأشرطة، كما يؤمر خدمة المساجد بإفساح المجال للمؤذنين بالقيام بواجبهم بصورة مباشرة، وفي مساجد تلك الدول يؤمر المؤذن وخادم المسجد وإمام الجماعة بالتواجد في المسجد وقت الأذان، وهذا الأمر أقرب إلى الحالة الإسلامية والإيمانية.

وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام

---

(١) المصدر.

(٢) المصدر.

أنه قال: «**الْمُؤَذِّنُ يُغْفَرُ لَهُ مَدَى صَوْتِهِ وَيَشْهَدُ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ سَمِعَهُ**»[١].

بل إن إحدى الروايات الكريمة صرحت بالقول بأن أول من يدخل الجنة المؤذن.

ولعل وجه الحكمة في ذلك؛ أن أول من يدخل الجنة هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إذ أن باب الجنة لن يفتح لأحدٍ قبل نبي الإسلام الأكرم، حيث يركب رسول الله ناقة يمسك بزمامها بلال الحبشي، وهو مؤذنه الخاص، ومن الطبيعي أن الماسك بزمام الناقة يتقدم - من حيث الخطى- على راكبها، فهو -والحال هذه- سيسبق النبي بدخول الجنة من الوجهة المادية.

(١) الكافي، ج ٣، ص ٣٠٧.

حق إمام الجماعة

يقول الإمام السجاد عليه السلام بعد ذلك: «**وَأَمَّا حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلَاتِكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ تَقَلَّدَ السِّفَارَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَبِّكَ عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

فإمام الجماعة هو في الواقع سفير المصلين ووكيلهم، وحينما يدعو الإمام في القنوت قائلاً: ﴿**رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً**﴾[2]. فهو يعني ويقصد جميع الأفراد المؤتمين به.إن إمام الجماعة في الحقيقة ناطق باسم الجميع أمام الله سبحانه وتعالى.

وحينما يجهر في صلاتي المغرب والعشاء والفجر -وهي المعروفة بالصلوات الجهرية- بصوته المرتفع ويقول: ﴿**الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمـنِ الرَّحِيمِ**﴾[3]، فهو يتحدث بالنيابة عن المصلين، وقد قال الإمام السجاد : عليه السلام «**وَتَكَلَّمَ عَنْكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ**»[4].

أي أنه الناطق باسمك والمتحدث بدلاً منك، لا أنك المتحدث بالنيابة عنه.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.
(٢) سورة البقرة : آية: ٢٠١.
(٣) سورة الفاتحة،آية: ٢-٣.
(٤) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.

ثم إنه عليه السلام قال: «**وَدَعَا لَكَ وَلَمْ تَدْعُ لَهُ وَكَفَاكَ هَوْلَ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ**»(١).

فإمام الجماعة هو الذي يقف قبل كل أحد في موقف العظمة الإلهية، ثم يشرع بالصلاة.

ثم أضاف: «**فَإِنْ كَانَ نَقْصٌ كَانَ بِهِ دُونَكَ**»(٢).

فإذا حصل ونقص وكان النقص متعلقاً بصلاة الإمام وحده، ولم يعلم من قبل الآخرين، فإن النقص يخص صلاته هو دون صلاة المؤتمين.

ثم قال: «**وَإِنْ كَانَ تَمَاماً كُنْتَ شَرِيكَهُ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْكَ فَضْلٌ فَوَقَى نَفْسَكَ بِنَفْسِهِ وَصَلَاتَكَ بِصَلَاتِهِ فَتَشْكُرَ لَهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ**»(٣).

ومن هذه التعابير يفهم أن الأئمة المعصومين عليهم الصلاة والسلام أرادوا للعلاقة بين الأفراد الذين يصلون معاً في مسجدٍ واحدٍ أن تكون علاقة وثيقة وإيجابية، لأن المأمومين يرتبطون بإمامهم بعلاقة إيمانية فريدة، وهم فيما بينهم تربطهم العلاقة الطيبة أيضاً.

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.
(٢) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.
(٣) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.

حق الجليس

ثم ينتقل الإمام زين العابدين عليه السلام ليبين حق الجليس.

وقبل ذلك أقول: قد يصادف أن تسأل شخصاً ما عن طبيعة علاقته بفرد من الأفراد، فيجيب مثلاً: كنا في خندق واحد نقوم بخدمة اجتماعية معينة.

وقد رأيت أحدهم فسألته: ما هي علاقتك أو قرابتك بفلان؟

فأجابني من فوره: إنه جليسنا في المسجد، ونحن نصلي تحت سقف واحد.

فسعدت كثيراً جداً لهذه الإجابة الإيمانية الواعية.

يقول الإمام السجاد عليه السلام عن حق الجليس: «**وَأَمَّا حَقُّ جَلِيسِكَ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ جَانِبَكَ وَتُنْصِفَهُ فِي مُجَارَاةِ اللَّفْظِ**»[1].

فكل من يجلس إليك، له حق عليك، فينبغي أن تستقبله استقبالاً طيباً في بادى ء الأمر، وأن تعطيه حق التحدث، فلا تكون كذلك الشخص الذي يحتكر حق الكلام من أول المجلس إلى آخره، فلا يسمح لغيره حتى بمجرد النطق وإبداء الرأي. وهذا من الخطأ الكبير بمكان، فحتى المكانة

(١) بحار الأنوار، ج ٧١، ص ٧.

العلمية، أو القدرة الخطابية، لا تعد دليلاً كافياً لمصادرة حق الآخرين في التكلم.

والمقصود من مصطلح (**مجاراة اللفظ**) في كلام الإمام السجاد عليه السلام، هو الأخذ والرد وتبادل الدور في عملية الحوار، والاستماع والصمت والتحدث.

ثم أضاف عليه السلام القول: «**وَلَا تَقُومَ مِنْ مَجْلِسِكَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَمَنْ يَجْلِسُ إِلَيْكَ يَجُوزُ لَهُ الْقِيَامُ عَنْكَ بِغَيْرِ إِذْنِكَ**»[1].

فالإمام يرفض الطريقة غير اللائقة التي يتعمدها البعض، حيث تراهم لا يعبؤون بجلسائهم، فيقومون من مجلسهم بمجرد حصول طارئ أو عارض لهم، دونما استئذان أو رخصة أخلاقية ممن كان يجالسهم، في حين أن اللياقة الأدبية وقواعد الذوق السليم تفرض عليهم الاستئذان، كعلاقة احترام وودّ.

ثم قال: «**وَتَنْسَى زَلَّاتِهِ وَتَحْفَظَ خَيْرَاتِهِ وَلَا تُسْمِعَهُ إِلَّا خَيْراً**»[2].

فتسعى إلى نسيان ما يبدر من جليسك من زلّات أو يقع فيه من الأخطاء. وفي مقابل ذلك اذكر لجليسك صلاحه وأعماله وأقواله الطيبة، وإذا قصدت محادثته فلا تتحدث معه إلا بأطيب الكلام وأفضله.

(١) وسائل الشيعة،ج ١١، ص ١٣٦.
(٢) المصدر.

حق الجار

ينبغي أن يعلم بأن حقيقة التقوى قد تختلف أحياناً عمّا يدور في خلدنا، وما نتوهمه ونتخيله. فالتقوى لا تعني مجرد المحافظة على أداء الصلوات لأول وقتها فحسب، وإنما ينبغي تجسيد التقوى في جميع الحركات والسكنات والآداب والأخلاق وتطبيق أحكام الدين، حتى في طريقة النوم والأكل والذهاب والإياب وسائر شؤون الحياة.

إن احترام حقوق الناس تبدأ بالاهتمام بالأمور الصغيرة، وإذا أمعنتم النظر جيداً في طبيعة المسائل الفقهية، ستتأكدون من مستوى اهتمام الدين حتى بصغائر الأمور.

فمكان الصلاة يلزم أن يكون مباحاً غير مغصوب، وحتى إذا حجز أحدهم مكاناً بعينه في الأماكن العامة كالمساجد ليؤدي الصلاة فيه دون غيره، كان من المشكل أن يعمد شخص آخر إلى تجاهل هذه الرغبة وأداء الصلاة في المكان ذاته، ذلك لأن الشخص المذكور يتمتع بحق الاختصاص والأولوية، فكان من الجدير احترام هذا الحق.

إن حق الناس يبدأ من عود الثقاب، بل وأصغر من ذلك.

يقول الإمام زين العابدين عليه السلام فيما يخص حق الجار: «**وَأَمَّا حَقُّ**

جَارِكَ فَحِفْظُهُ غَائِباً»[١].

ففي غيبة الجار يلزم حفظ مصالحه واحترام زوجته وأولاده، وعدم التعرض لهم بسوء، بل وينبغي أن يعاملوا وكأن ولي أمرهم حاضر بينهم.

أما إذا كان بين المرء وجاره نوع من الاختلاف على قطعة أرض -مثلاً- فلا يجوز لهذا الفرد أن يستغل غياب الجار ويضع يده على قطعة الأرض المختلف عليها فيصادرها، بل عليه أن يتصور جاره حاضراً وماثلاً أمامه، فلا تسول له نفسه انتهاك حق الجار في هذا المجال.

ثم يقول عليه السلام: «**وَإِكْرَامُهُ شَاهِداً**»[٢].

فحق الجار يحفظ له احترامه شاهداً، كما حفظه له غائباً.

ثم يقول عليه السلام: «**وَنُصْرَتُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُوماً**»[٣].

فينبغي الدفاع عنه إذا وقع تحت وطأة الاضطهاد والظلم، سواء في حالة الشهود أو الغياب.

ثم يقول عليه السلام: «**وَلَا تَتَبَّعَ لَهُ عَوْرَةً فَإِنْ عَلِمْتَ عَلَيْهِ سُوءاً سَتَرْتَهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّهُ يَقْبَلُ نَصِيحَتَكَ نَصَحْتَهُ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ**»[٤].

ولو صادف وعرفت زلةً وخطأً لجارك، فلا يصح إفشاؤه من جانبك، وإذا كان لك جارٌ ينصاع لك، فعليك بتوجيه النصح له إذا وقعت على موقع ضعف فيه، وهذا النصح ينبغي أن يكون في الخفاء دون العلن،

---

(١) وسائل الشيعة،ج ١١، ص ١٣٦.
(٢) المصدر.
(٣) المصدر
(٤) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.

لتجنب فضيحة الجار من جانب، ولضمان قبوله النصح من جانب آخر.

ثم يقول عليه السلام: «**وَلَا تُسْلِمُهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ وَتُقِيلُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ ذَنْبَهُ وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1].

لتثبت أمام الله عز وجل والناس والضمير أنك جدير بالجيرة.

(١) المصدر

حقوق الصديق

في الإنسان حالتان: حالة العطاء، وحالة الأخذ. وكلا الحالتين فطريتان. أما الحيوانات؛ فيمكن القول بأنها تسعى وراء تحقيق ما ينفعها، ولكن المسألة تختلف فيما يخص الإنسان، ولا ينبغي تصور حصول اللذة من الأخذ لدى الإنسان أكثر من لذة الإحسان والعطاء.

إن من الطبيعي أن يعيش المرء اللذة ويشعر بها حينما يأخذ مالاً من آخر، ولكنه بنفس المقدار أو أكثر يمتلك الإحساس باللذة المعنوية حينما ينقذ غريقاً من الموت، أو يقوم بإطفاء حريق، أو يساهم في علاج أحد المرضى، ولعل الإحساس بهذه اللذة يبقى ملازماً له إلى آخر عمره.

ولا بأس أن نعي أن الإنسان يهتم بأولاده أكثر من اهتمامه بأبيه أو جده، علماً بأنه يقوم بدور المعطي للأولاد، في حين أنه قد أخذ الشيء الكثير من أبيه وجده، والسبب في ذلك هو أن شعوره بلذة العطاء لأولاده والإيثار من أجلهم يجعله يهتم بهم أكثر فأكثر.

والإمام السجاد عليه السلام يوصي في قسم من هذه الرواية بضرورة الالتزام بالإنصاف والتفضل بالنسبة إلى الصديق، وقد قال الإمام علي عليه السلام:

«**الْإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ**»[١].

ولابد أن نعرف بأن التفضل يختص بالمسائل المادية، بينما الإنصاف يأخذ صبغة معنوية.

وينبغي على الإنسان إيصال نفسه إلى مرحلة من الكمال، بحيث يقضي على صفة العناد واللجاجة، أو يحد من نسبتها في داخله إلى أقل ما يمكن. فإذا لم يستطع إثبات رأيه بالدليل، فلا ينبغي أن تأخذه العزة بالإثم والتكبر، بل عليه الإقرار بخطئه والاعتراف بالحق للآخرين.

ولعل هناك من الأشخاص من يبقى مصراً على رأيه، فلا يتنازل وإن مرّغ أنفه في التراب.

وبهذا الصدد ينقل: أن مسافراً أراد أن يهرب مقداراً من الفوسفور عبر الحدود، ولكنه فوجئ عند نقطة العبور بالضابط يكشف عما خبأه من هذه المادة التي يريد تهريبها، وحينما وضع الضابط شيئاً من الفوسفور على كفه، وقال له: إلى أين تذهب بها؟

فأجابه المهرب دون أن تبدو عليه علامات الاضطراب والحرج: إنه حبة البركة (أو الحبة السوداء) وليس فوسفوراً.

ولكن الضابط أخذ يعدد له مواصفات كلا المادتين ليؤكد له عدم وجود فرصة في مراوغته. ولكن المهرب ظل مصراً على رأيه قائلاً للضابط: إنها حبة البركة وليست فوسفوراً!

فوضع ضابط الحدود الفوسفور في وعاء وقرّبه تحت لحية المسافر، ثم قام بإشعاله حتى التهبت وحرقت لحيته.

---

(١) نهج البلاغة، حكمة رقم ٢٣١.

فقال المهرب المحترقة لحيته صائحاً بكل غبطة وفرح وشعور بالنصر: ألم أقل إنها حبة البركة ! !

أما عن حق الصاحب (أو الصديق) يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَأَمَّا حَقُّ الصَّاحِبِ فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالتَّفَضُّلِ وَالْإِنْصَافِ وَتُكْرِمَهُ كَمَا يُكْرِمُكَ**»[١].

فالإنسان المسلم يجب أن يتفضل على صديقه وصاحبه ورفيق دربه في الحياة، وأن يتعامل معه بالإنصاف، وأن يحترمه ويجلّه ويحفظ له حقوقه، فلعل إنساناً ولفرط علاقته برفيقه تراه يهضم عليه حقوقه، وهذا خطأ كبير، إذ على الإنسان أن يحترم حقوق الآخرين في كل الأحوال. والصداقة الحميمة لا تبرر عدم الاهتمام بحقوق الطرف الآخر.

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «**وَلَا تَدَعَهُ يَسْبِقُ إِلَى مَكْرُمَةٍ فَإِنْ سَبَقَ كَافَأْتَهُ**»[٢].

فحينما تحضر مكاناً ما، وترى فيه شخصاً ضريراً بحاجة إلى المساعدة، فاسع إلى بذل العون له قبل أن يسبقك إليه صديقك.

أما إذا سبقك أحدهم وأخذ بيد الضرير، فحاول -على الأقل- أن تساعده في حمل متاعه ووسائله، فتكون له شريكاً في العون والمساعدة.

إن واحدة من القضايا التي طالما كان أهل البيت عليهم الصلاة والسلام يؤكدونها ويوصون الناس بها هي المبادرة إلى الخيرات، والتنافس في العمل الصالح مع الآخرين، وأن لا يتصور الإنسان أن الآخرين هم أولى منه بالسعي والحركة في مجالات الخير والعمل الصالح.

ثم يقول الإمام السجاد عليه السلام «**وَ تَوَدَّهُ كَمَا يَوَدُّكَ وَتَزْجُرَهُ عَمَّا يَهُمُّ بِهِ**

(١) وسائل الشيعة،ج ١١، ص ١٣٦.
(٢) المصدر.

مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ»[١].

فينبغي أن تكون العلاقة الودية متبادلة بين الصديقين، وليس من طرف واحد. فعلينا أن نحب ونودّ أصدقاءنا كما هم يحبوننا، كما ينبغي علينا إبعاد إخواننا وأصدقائنا عن معاصي الله.

ثم يوصي الإمام علي بن الحسين عليه السلام بضرورة التعامل مع المصاحب بالرأفة والرحمة والابتعاد عن الخشونة والعنف، فيقول: «**وَكُنْ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلَا تَكُنْ عَلَيْهِ عَذَاباً وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن النصائح والإرشادات التي بيّنها الأئمة المعصومون عليهم الصلاة والسلام -ولو على شكل أدعية ومناجاة- تشير إلى حقائق الحياة. وما نحن بصدده من آداب المصاحبة واحترام ورعاية حقوق الصديق والمصاحب ورفيق الدرب، لم يعمد الأئمة عليهم السلام فيها إلى أسلوب الإطلاق، بل كانوا بصدد تبيين الحقائق وحل المشاكل الحقيقية.

إن نظامنا الاجتماعي قد يجعل الإنسان مضطراً أحياناً إلى مرافقة ومصاحبة ومجالسة من يزاملونه في الدائرة أو المدرسة أو المكتب وغير ذلك، فربما يكون الفرد ضابطاً عسكرياً يقود مجموعة من القوات العسكرية أو يكون مسؤولاً عن إدارة قافلة من الحجاج، وفي كلتا الحالتين ينبغي على الرجلين أن يعرفا الأسلوب المفضّل للتعامل مع من يخضعون تحت إشرافهما.

وفي هذه الحالة قد يختار القائد أو المدير أسلوب الاحترام الظاهري

(١) المصدر.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١١،ص ١٣٦.

للعناصر الخاضعة تحت إشرافه، دون أن يكنّ لهم الحب والود حقيقة، بل يسعى لإبداء المجاملات العرفية، ويعمل على أداء واجبه ومسؤوليته تجاههم، وفي المقابل يسعى أولئك للتعامل معه بطريقة مماثلة في إطار أداء الواجب وعدم تجاوز الحدود.

إن هذا الخيار -وإن كان مفيداً- ولكنه ليس الخيار الأفضل، حيث يرشدنا الإسلام إلى اتخاذ أسلوب أرقى وأصلح من ذلك.

إن علينا أن نطلب من الله سبحانه وتعالى أن يصلح بواطننا، لكي نستطيع أن نحب الأفراد الذين هم تحت قيادتنا وإشرافنا من صميم قلوبنا، فيبادلوننا بدورهم المحبة نفسها.

وكذلك الأمر بالنسبة لمن قد نرافقهم بالصدفة، فإنك قد تقضي في القطار أو الحافلة ساعات وساعات، فتسنح لك الفرصة الطيبة لكسب صداقة من تجالسهم في هذه الفترة، وتكسب ودَّهم، فتكون بداية لعلاقة وثيقة وطويلة الأمد، فإن كثيراً من الصداقات الحميمة تبدأ من مصادفة يسيرة وبسيطة.

ففي بعض الأحيان يصادفك سائق بحاجة إلى من يساعده في إصلاح عجلة سيارته، ثم بعد أن تقوم أنت بمد يد المساعدة له تقوم بينكما علاقة حميمة قد تستمر لسنوات طويلة.

11





حقوق العمل المشترك وحق المال





حق الشريك

إن من الحري بنا أن نحول العلاقات المادية المشتركة التي قد نُضطّر إلى بنائها في الحياة إلى علاقات وثيقة قائمة على أساس القيم. ورغم أنه من الطبيعي أن يكون للمصالح المادية دورها الفاعل في العمل المشترك والشراكة، بحيث يفكر كل من الطرفين الشريكين بفائدته وربحه، ولكن الإسلام -وضمن إقراره هذا النوع من الشراكة- له توصياته الخاصة وطريقته المعروفة في تزريق الحالة المعنوية.

يقول الإمام السجاد عليه السلام فيما يخص حق الشريك: «**وَأَمَّا حَقُّ الشَّرِيكِ فَإِنْ غَابَ كَافَيْتَهُ وَإِنْ حَضَرَ رَعَيْتَهُ وَلَا تَحْكُمُ دُونَ حُكْمِهِ وَلَا تَعْمَلُ بِرَأْيِكَ دُونَ مُنَاظَرَتِهِ وَتَحْفَظُ عَلَيْهِ مَالَهُ وَلَا تَخُنْهُ فِيمَا عَزَّ أَوْ هَانَ مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّ يَدَ اللَّـهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَنَا وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[1].

فإذا غاب الشريك، فعلى صاحبه أن يحافظ على حقه ويرعاه.

وإنكم تعلمون أن بعض الشركاء يمارس ما يعود عليه شخصياً بالنفع في حال غياب شريكه، حتى وإن علم حصول الضرر من عمله هذا لشريكه، ولكن وصية الإسلام هي لزوم مراعاة مصلحة الشريك حتى في غيابه.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٦.

ففي أثناء غيبة الشريك لابد من احترام حق الشراكة، وأن لا يخون الشريك شريكه، بل ولا يجوز إبرام أي عقد أو صفقة دون الأخذ بعين الاعتبار رأي الشريك وأخذ مشورته.

إن على الشركاء أن يطمئنوا اطمئناناً تاماً بأن يد الله سبحانه وتعالى معهم شريطة أن لا يخون بعضهم بعضاً.

عندما تقوم الشراكة على الإخلاص

كان أحد أثرياء الكويت، قبل أن يكسب ثروته الطائلة يمتلك محلاً صغيراً متواضعاً يبيع فيه المواد الإنشائية.

وفي إحدى المرات جيء له بحمل طابوق، فقال لجاره: إن قيمة هذا الحمل عشرة دنانير، وأنا اقترح عليك بأن تشاركني في شرائه وتدفع خمسة دنانير على أن يكون الربح بيننا مناصفة.

فقال له جاره في المحل إنه لا يملك الخمسة دنانير.

فقال له مقترحاً: لا إشكال في ذلك؛ أنا أقرضك المبلغ.

فوافق الجار هذا على الاقتراح. ثم إنهما اشتريا حمل الطابوق، وباعاه في اليوم الثاني بعشرين ديناراً، فأراد الجار أن يعيد المبلغ، فأبى الرجل عن قبوله قائلاً: احفظه عندك، ولنشترك في صفقة جديدة.

واستمرت شراكة هذين الجارين أربعين عاماً بكل صدق وإخلاص وتفاهم وأمانة. ورغم أن الرجلين قد توفاهما الله سبحانه وتعالى، إلا أن أسرتيهما حافظتا على هذه الشراكة على أحسن وجه،وهما في الحال الحاضر يديران شركة تجارية دولية.

إن عالم اليوم يتجه نحو دمج الشركات والمصانع الكبيرة، وذلك بهدف ضمان تقدم أكبر. وقد نقل مؤخراً أن شركتين يابانيتين، تبلغ ميزانية كل واحدة منهما حوالي عشرين مليار دولار، قد اتحدتا تحت عنوان شركة واحدة، حتى صارت من أكبر الشركات العالمية.

وقد سمعنا في الأخبار الاقتصادية أن شركة توتال الفرنسية قد اتحدت مع شركة بلجيكية وصارت من أكبر الشركات العالمية في مجال عملها.

ولكن ما يؤسف له؛ أن روح الشراكة وأخلاقية الاتحاد تندر في بلداننا، بل إن الأفراد والجماعات عادةً تفسخ شراكتها وتنفصل عن بعضها، الأمر الذي يعجزها عن إنجاز المشاريع الضخمة والمهمة، فتراها تتعرض للفشل والهزيمة والخسارة.

ومن هنا؛ تتضح الحكمة من كلام الإمام السجاد عليه السلام الذي أكد فيه أن: «**يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا**».

إن الشراكة التي تحترم الأصول الأخلاقية والموازين الشرعية تتمتع برضى الله سبحانه وتعالى، والله يبارك هذه الشراكة، ويغمرها برحمته.

الصدق في التعامل

توفي أحد الأشخاص في الكويت، فجاء رجل إلى عائلة المتوفى قائلاً: إنني أطلب أباكم مبلغ خمسين ألف دينار، وأنا -من جهة أخرى- مديون له بمبلغ مليون دينار ! فطلب أفراد أسرة المتوفى مزيداً من التوضيح.

فأجابهم: منذ مدة كنت جالساً مع فقيدكم، فأظهر لي رغبته في شراء بيت كان لي، ولما لم يكن معه ثمن البيت، قال لي: سأسدد لك المبلغ فيما

بعد، وعلى هذا الأساس تم الاتفاق بيني وبين أبيكم، ومنذ تلك اللحظة أصبح البيت ملكاً له، ثم إن قيمة البيت قد ارتفعت للغاية بسبب موقعه الجيد حتى أصبحت قيمته الآن تبلغ حوالي مليون دينار، ولأن الصفقة قد تمت بيننا، فقد أتيتكم لأتسلّم الخمسين ألف دينار منكم، واسلَّمكم البيت ذي المليون دينار !

إن مثل هذا الإيثار والإنصاف والصدق في المعاملة هو الذي يخلق التطور المعنوي في النفوس، بل ويبعث على التقدم المادي أيضاً.

ولكن الناس إذا أصروا على الكذب والتحايل في العلاقات التجارية والاقتصادية، وذلك انطلاقاً من النظرة المادية البحتة للحياة، تراجع المجتمع وتأخر أيما تأخر.

وفي السنوات الأخيرة طالعتنا الصحافة ووسائل الإعلام في بعض البلاد الإسلامية ببحث الأسباب الداعية إلى الجفاف وعدم نزول المطر بشكل كافٍ. إن الأحوال الجوية المتردية إنما تسيطر بسبب الإجحاف الذي يمارسه بعض الأفراد تجاه البعض الآخر، وحتى إذا هطلت الأمطار، فإنها لن تكون ذات تأثير مفيد على نوع المحاصيل الزراعية.

وللأسف؛ نجد كثيراً من الناس في بعض المجتمعات لا يصدقون بعضهم البعض، فهم منهمكون في استغلال بعضهم، حتى قيل إن بعض المزارعين في بعض المناطق يسرقون مياه أقرانهم. وعلى ذلك؛فإنه من الطبيعي أن الفواكه وسائر المحاصيل الزراعية ستكون ذات كيفية رديئة، وذلك بسبب سقيها بالمياه المسروقة.

وكونوا على يقين بأن عدم شمول الحرمان والفقر جميع أصعدة المجتمع يعود إلى وجود بعض الأفراد الخيرين ممن يولون المعنويات والأصول والقيم الإسلامية والإنسانية أهميتها اللازمة والكافية.

حق المال

يقول الإمام علي بن الحسين عليه السلام فيما يخصّ حق مال الإنسان: «**وَأَمَّا حَقُّ مَالِكَ فَأَنْ لَا تَأْخُذَهُ إِلَّا مِنْ حِلِّهِ وَلَا تُنْفِقَهُ إِلَّا فِي وَجْهِهِ.**»[1].

فالمال الذي يصلك، سواء كان بالإرث مثلاً، أو عن طريق الجهد الشخصي، له حق عليك، وأحد مصاديق هذا الحق أن تقدم الشكر للمصدر الذي أخذت منه هذا المال.

فالله المتعال قد قدّر طرقاً وأساليب ووسائل خاصة للاستثمار الحلال في هذه الدنيا، فلا يصح ولا يجدر انتخاب طريق حرام، مادام طريق الحلال متاحاً ومفتوحاً، وقد قال الله في كتابه المجيد: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً**﴾[2].

إن الورع والزهد يؤدي بك إلى أن تنال رزقك من النوع الثاني الذي لا يحتاج إلى أن تجهد كثيراً في الحصول عليه، بل هو الذي يأتيك إلى حيث أنت.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٧.
(٢) سورة الطلاق، الآية: ٢-٣.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**الرِّزْقَ رِزْقَانِ رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ**»(١).

وعلى الإنسان أن يتحرى طرق الحلال ويتجنب الحرام في كل شؤون حياته، وقد ورد في الدعاء المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والذي يختزل في مفرداته روحاً تربوية سامية: «**اللهم أغنني بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمّن سواك**»(٢).

فهناك من بعض الحلال وبعض الحرام ما لا يفصلهما -في الظاهر- إلا القليل جداً.

إن الفاصلة بين الزواج المؤقت الحلال، وبين الزنا الحرام، من هذا النوع من الفواصل الدقيقة جداً. فمن خواص الحرام أنه سرعان ما يعرض نفسه على الإنسان، في حين أن الفرد الذي يتمتع بملكة التقوى ويلتزم بقول الله تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ**..﴾ يستطيع بقليل من الصبر والتحمل أن يقنع نفسه بالطريق الحلال ويرضيها. وهذا هو مصداق قوله سبحانه: ﴿**يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً**﴾(٣).

الإنفاق الحلال

القضية الأخرى التي أشير إليها في الحديث، هي: أن الإنسان مطالب بالبحث عن الطرق الحلال لإنفاق أمواله، إذ لا يسمح للفرد بصرف أمواله بأية طريقة يرتئيها ويبرر ذلك بأنه يتصرف فيما يملك،بل عليه أن يراعي الأولويات في ذلك.

---

(١) نهج البلاغة، رسالة رقم ٣١.
(٢) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ٣٠١.
(٣) سورة الطلاق، آية: ٢.

جاء في القرآن المجيد: ﴿**إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً**﴾[١].

ويفهم من هذه الآية الكريمة أن من صفات الشيطان أنه يكفر بنعمة الرب، وأن المبذر أخٌ للشيطان، فهو -إذن- يكفر بنعمة الله ويضيع الحقوق.

إن بعض الناس يمتلكون من المال الكثير، ولكنهم يبذرونه ويسرفون في صرفه، بينما لا يصلون أقرباءهم ومعارفهم، أو يقصرون في تسديد الحقوق الشرعية الواجبة عليهم.

وفي بعض الحالات؛ نجد الإنسان الثري يضع أمواله في غير مواضعها، حيث يمنحها للأشخاص غير المستحقين، أو غير الصالحين، الذين يتوسلون بالحيلة والدهاء؛ لتفريغ جيوب الأثرياء بأساليب شيطانية؛ والعجيب في الأمر، أنهم لا يمتنعون عن لعن أصحاب الأموال الذين جردوهم بدون حياء أو وازع ضمير.

ويؤكد الإمام السجاد عليه السلام في جملة كلماته ونصائحه القيمة على أن نحسن لمن لا يطعننا بخنجره من الخلف، وأن لا نكرم من لا يعرف الكرامة، حيث قال: «**وَلَا تُؤْثِرَ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ لَا يَحْمَدُكَ**»[٢].

قال لي أحد التجار: جاءني أحد الأشخاص، وطلب مني شيئاً من المال، ولكنني رغم معرفتي به قلت له: لا أعطيك شيئاً!

فقال: هل لأنك لا تملك شيئاً فلا تعطيني؟

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٧.

فأجبت: بل عندي ولا أعطيك.

ثم إنه قصد تاجراً آخر وأخذ منه مالاً، وبعد مدة جاءني الشخص نفسه قائلاً: إن فلاناً - وقد سبّه بالكلمات النابية- لديه الملايين، ولكنه لم يعطني إلا عشرة آلاف.

فسألته: هل تعلم الفرق بيني وبين هذا الذي تسبه ولا تعرف له جميلاً؟

فأجاب: كلا!

قلت: إنك تسبنا نحن الاثنين، مع الفرق في أن العشرة آلاف التي هي لهذا الرجل استقرت في جيبك أنت، بينما العشرة آلاف التي لي هي في جيبي أنا!!

ويضيف الإمام السجاد عليه السلام قائلاً: «**فَاعْمَلْ بِهِ بِطَاعَةِ رَبِّكَ وَلَا تَبْخَلْ بِهِ فَتَبُوءَ بِالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللـهِ**»[1].

فانظر إلى أوامر الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بطرق صرف المال، ولكن احذر في الوقت نفسه من أن تسقط في فخ البخل والخسّة، فالبخل قد يمنعك من الاستفادة السليمة من أموالك، فتتركها لمن خلفك، حيث يتمتعون بها بعد موتك، بينما أنت الذي تتحمل وزرها.

الاعتدال في الإنفاق

وصفوة القول هي أن الإنسان يجب عليه اتخاذ الطريق الوسط، فلا يسرف في الإنفاق ولا يغل يده ويبخل، وهو إذا لم يتمسك بهذه الطريقة، ضاعت أمواله وتبعثرت، فلا تبقى لها فائدة أبداً.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٧.

ذات مرة كنت راكباً في سيارة أجرة، وحينما أراد مرافقي الترجل من السيارة، أعطى السائق عشرين ديناراً بدلاً من دينار واحد، وهو المبلغ الذي كان يستحقه.

فقلت له: ما الذي دفعك لهذا العمل؟

قال: أحببت أن أنعم وأتفضل على السائق.

فقلت: ياليتك أعطيت فقيراً أو مسكيناً هذا المبلغ الكبير!

إن واحدة من السلبيات في المجتمعات المسلمة هي أن الناس عادة لا يتصدقون بأموالهم إلا على أولئك المساكين والفقراء الذين يطرقون أبوابهم بإلحاح وعناد، في حين أن القرآن الكريم يذكر المساكين بقوله: ﴿**لِلْفُقَرَاء الَّذِينَ أُحصِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾[1].

فهناك من الفقراء من يبقون في منازلهم، ولا يجدون في أنفسهم الجرأة على إعلان حاجاتهم للناس.

أما المحسنون؛ فلا ينبغي حصر إنفاقهم على المعلنين من الفقراء؛ أو الاكتفاء بإلقاء صدقاتهم في صناديق الصدقة، المتوفرة هنا وهناك، بل عليهم أن يشمروا عن ساعد الهمة، ويبحثوا عن المحتاجين الواقعيين ممن يحافظون على عزتهم وكرامتهم، وقد كان أئمتنا عليهم السلام يسلكون هذه الطريقة، حيث كانوا يفتشون باستمرار عن المستحقين الواقعيين.

فقد كان يحدث أن يدعو الأئمة المعصومون عليهم الصلاة والسلام

(١) سورة البقرة، آية: ٢٧٣.

الفقراء والمساكين في المدينة أو الكوفة للحضور في مكان معين وذلك لتوزيع الأموال عليهم، وحيث أن الفقراء الحقيقيين كانوا يستحيون من الحضور في مثل هذه التجمعات والاستجابة لهذه الدعوات، لذا كان الأئمة يذهبون بأنفسهم للكشف عن هؤلاء الفقراء، فيصلونهم ويساعدونهم.

وعلى أيّة حال؛ فإن القيام بهذا النوع من الإنفاق والعمل الصالح الذي يضع الأمور في مواضعها، له قيمته النفيسة.

12





حق
الدائن والمدّعي





حق الدائن

استمراراً للحديث عن الحقوق المتبادلة بين الناس، يتحدث الإمام زين العابدين عليه السلام عن حق الدائن فيقول: «**وَأَمَّا حَقُّ غَرِيمِكَ**[1] **الَّذِي يُطَالِبُكَ فَإِنْ كُنْتَ مُوسِراً أَعْطَيْتَهُ وَإِنْ كُنْتَ مُعْسِراً أَرْضَيْتَهُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَرَدَدْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ رَدّاً لَطِيفاً**»[2].

فعليك أن ترد دينك في أول فرصة تسنح لك، ولا تبحث عن طرق أخرى لصرف المال أو بعثرته، فإن لم يتوفر لديك المبلغ الكافي لسداد الدين، فاكسب رضى الطرف الدائن على الأقل.

ثم يشير الحديث الشريف إلى حقوق الأفراد المخالطين للإنسان في أمر من الأمور الحياتية، وإن لم تربطهم رابطة الشراكة، فيقول: «**وَحَقُّ الْخَلِيطِ**[3] **أَنْ لَا تَغُرَّهُ وَلَا تَغُشَّهُ وَلَا تَخْدَعَهُ وَتَتَّقِيَ اللَّـهَ فِي أَمْرِهِ**»[4].

فلا يصح أن تخدع زميلك في العمل أو رفيقك في الدرب أو جليسك في المجلس.

---

(١) الغريم، الدائن، ويطلق أيضاً على المديون.
(٢) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٧.
(٣) الخليط: المخالط كالنديم والشريك والجليس و.
(٤) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٧.

وأتذكر أنني كنت ذات مرة راكباً في سيارة ناوياً الذهاب إلى عنوان معين لم أكن أعرفه بالضبط، وكان أحدهم واقفاً في الشارع فتوقفت قربه وسألته عن المكان الذي كنت أقصده فقال: أنا أعرف العنوان، بل وأقصد الذهاب إلى هناك أيضاً.

فاصطحبته، وكان يدلني على الطريق، حتى وصلنا إلى أحد الأماكن فقال: أوقف السيارة فقد وصلنا المكان المطلوب.

ولكن يبدو أنه هو الذي كان قد وصل إلى غايته دوني!

لا شك أن هذا العمل يعد نوعاً من الإغواء والاستغفال، ويستوجب الضمان.

إن الإمام عليه السلام يحذرنا من ممارسة الخداع والكذب والغش مع الخلطاء.

فتارة يقيم الفرد علاقة ودية مع زميل له، أو أي شخص كان، ولكنه يبطن أهدافاً شيطانية، فهو لعله يريد كسب صاحبه إلى عصابته ليستخدمه كوسيلة لتحقيق أهدافه الخاصة.

ولكن العلاقة والصداقة لا ينبغي أن تقام على أساس الكذب والحيلة بأي وجه من الوجوه.

وقد ورد النهي في كلام الإمام السجاد عليه السلام عن الغش، وأوسع مجال يتحقق فيه الغش هو مجال المعاملات التجارية؛ كأن يستخدم البائع الكلام المعسول، فيخدع المشتري، حيث يصف له البضاعة على أنها خالية من العيوب، بينما هي معيبة.

كما ينهى الإمام عن الخديعة أيضاً، وهي تعني الإضرار بالطرف المقابل بطريقة ماكرة لا يشعر بها إلا بعد فوات الأوان.

ثم يذكّر الإمام زين العابدين عليه السلام بحقيقة أن الله سبحانه وتعالى يشرف على جميع الأعمال والحركات والممارسات، ولذلك كان على الإنسان أن يتقيه دائماً.

حق صاحب الدعوى

ثم ينتقل الحديث بنا إلى عرض الحقوق المتبادلة بين الخصمين المتنازعين في أمر من الأمور. يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ**»(١).

فينبغي عليك أن تلاحظ فيه النقاط التالية:

قال الإمام عليه السلام: «**فَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِيهِ عَلَيْكَ حَقّاً كُنْتَ شَاهِدَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَمْ تَظْلِمْهُ وَأَوْفَيْتَهُ حَقَّهُ**»(٢).

أي أن تقر وتعترف وتشهد على نفسك بأنها مدانة له، فلا تهضم عليه حقه بوجه من الوجوه.

ثم قال الإمام عليه السلام: «**وَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِي بَاطِلًا رَفَقْتَ بِهِ وَلَمْ تَأْتِ فِي أَمْرِهِ غَيْرَ الرِّفْقِ وَلَمْ تُسْخِطْ رَبَّكَ فِي أَمْرِهِ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»(٣).

ينبغي أن يؤخذ بعين الاعتبار أن الإنسان قد يكون مظلوماً في قضية معينة، ولكنه يتصرف مع خصمه بطريقة تحوّله إلى ظالم، وهناك بعض

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٧.
(٢) المصدر.
(٣) المصدر.

المظلومين يرون لأنفسهم الحق في أن يمارسوا ما شاؤوا من التصرفات الجائرة تجاه من ظلمهم، حتى ولو أدى ذلك إلى تصنيفهم في خانة الظالم.

فليس من الصحيح أنك إذا تعرضت لظلم بسيط من أحدهم أن يتعالى صراخك وتتظلم، وتقوم بفضحه أينما ذهبت بشكل يصبح فيه الطرف المقابل عاجزاً عن مجرد رفع رأسه بين الناس.

كان أحد الأشخاص مديناً لي بمبلغ من المال، كان قد وُضِعَ أمانةً عنده ليسلمه لي، ولكنه امتنع عن القيام بذلك.

فطلبت منه المال، ولكنه لم يستجب لي، فامتنعت عن مشاجرته أو فضحه بين معارفه، وقد كنت اعتقد أنني إذا قمت بهذا العمل قد يقوم الآخرون بلصق تهم أكبر به، في حين أنه قد لا يستحق هذه العقوبة، ولذلك فقد أخفيت الأمر، وقد تعلمت هذه الطريقة من العالم الكبير المرحوم الميرزا الشيرازي رَحِمَهُ اللَّهُ.

الميرزا الشيرازي وحفظ حق المختلس !

كان أحد طلاب العلوم الدينية في عصر المرحوم الميرزا الشيرازي يعيش كشخص محترم، وكان المجتمع ينظر إليه بنظر الإكبار والإجلال، وكان الناس يطلبون إلى الميرزا الشيرازي أن ينصبه وكيلاً عنه، ولكن الميرزا كان يمتنع عن منحه وكالة خطية لما كان يعرف فيه من عدم الصلاحية.

وظل الناس يصرون على المرحوم الميرزا الشيرازي ليستجيب لطلبهم، حتى اضطر أخيراً إلى الموافقة رغم رفضه الباطني.

وحينما تسلم الشخص مقاليد الوكالة، ووصلته موافقة المرحوم الشيرازي الخطية، طغى وبدأ باختلاس الأموال التي ترده من هنا وهناك.

وفي نهاية المطاف، عاد الناس الذين كانوا يضغطون على الميرزا الشيرازي في أمر توكيله إلى الإصرار ثانية على عزله.

ولكن المرحوم الشيرازي رفض عزله في هذه المرة، وحينما كان يسأل عن السبب، كان يقول: إذا فعلت ما تطلبونه مني، فإن بعض الناس سيصل بهم الأمر إلى تكفيره، في حين أنه لما يصل أمره إلى هذه الدرجة بعد، وينبغي أن تحفظ له حرمته المناسبة له.

إذن؛ فإن الإسلام يعترف ويقر للأفراد بكرامتهم وحرمتهم، وبضرورة احترام حقوقهم في كل الحالات، حيث لا يسمح بكيل الاتهامات للأشخاص بكل بساطة ودون مبرر.

ونقرأ في الفقه مسألة شرعية توضح لنا مدى اهتمام الإسلام بحفظ حرمة الإنسان، جاء في الفقه:

إذا كان أحدهم يملك ماءً مخصصاً للشرب، ويفتقر في نفس الوقت إلى ماءٍ للوضوء، فإنه -والحال هذي- لا يجوز له التوضؤ بذلك الماء، ويجب عليه الانتقال إلى خيار التيمم، والاحتفاظ بالماء للشرب.

وكذلك إذا كان لا يملك ماءً إلا لسقي دابته، أو لتبريد محرك سيارته مثلاً، فإنه يكون ملزماً بالتيمم دون شك وعدم استخدام ذلك الماء للوضوء.

والمسألة المثيرة هنا، هي أنه لو كان لديه قليلٌ من الماء ويريد استعماله للوضوء، وكان إلى جانبه إنسان كافر حربي، أو شخص محكوم عليه بالإعدام، يخاف عليهما الهلاك عطشاً، فإنه -وفقاً لفتاوى بعض الفقهاء- مسؤول عن درء العطش عنهما، ويجب عليه التيمم، ذلك لأن الإسلام يحكم بضرورة رفع العطش عن كل إنسان؛ بما في ذلك الكافر الحربي

والمحكوم عليه بالإعدام.

وهكذا نلاحظ إن الإسلام يهتم بتفاصيل الحياة الإنسانية بصورة دقيقة؛ وفي إطار أحكام هذا الدين الإنساني النزيه، لا يمكن السماح بفضح الرفيق أو الزميل أو الشريك لمجرد بروز نوع من الاختلاف معه، حتى وإن كنتَ مظلوماً من قبله، فلا يجوز أن تقوم بإخزائه، بحيث لا تُبقي له كرامة أو احتراماً.

فرد العدوان - الذي هو حق مشروع- يمكن أن ينفذ ضمن ضوابط ومعايير وقواعد عقلية وشرعية.

ونلاحظ في نهاية كل مقطع من هذا الحديث الشريف -رسالة الحقوق- تأكيد الإمام السجاد عليه السلام على عبارة: «**وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

وهذا التعبير له حكمته السامية طبعاً، إذ أن الالتزام بالأخلاق الحميدة بحاجة إلى كسب القوة من الله رب العالمين، ومن دون هذه القوة يتسلط علينا الضعف بكل أشكاله.

هل رأيتم كيف ينفلت القياد من السيارة وسط الشوارع، فيتعرض سائقها والناس المحاذون للطريق إلى الخطر الكبير؟ فالويل كل الويل للإنسان إذا انفلت قياد نفسه بسبب الضعف في يوم من الأيام.

14





حقوق
التشاور والتناصح





حق المستشير

المستشير هو من يطلب المشورة من الآخرين.

فتارة يأتيك أحدهم قائلاً: أريد الزواج من بنت فلان، أو: ابتياع البيت الكذائي، فما رأيك؟ فما هو حق المستشير؟

يقول الإمام السجاد عليه السلام بهذا الصدد: «**وَحَقُّ الْمُسْتَشِيرِ إِنْ عَلِمْتَ أَنَّ لَهُ رَأْياً حَسَناً أَشَرْتَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ تَعْلَمْ لَهُ أَرْشَدْتَهُ إِلَى مَنْ يَعْلَمُ**»[1].

وينقل أن المأمون العباسي استدعى أحد مقربيه وقال له: من هو الشخص المناسب برأيك لتقلّد منصب القضاء في المنطقة الكذائية؟

فرشح هذا الشخص أحد الأفراد.

فسكت المأمون هنيئةً ثم قال: حسب علمي، هناك اختلاف بينك وبين هذا الشخص الذي رشحته، فلماذا ذكرته الآن بخير؟ !

فأجابه: بلى؛ أنا وإياه على خلاف، وإن ظفرت به نازعته، ولكنك قد طلبت المشورة مني، وكان عليّ الرجوع في الإشارة إلى عقلي دون عاطفتي !

---

(١) وسائل الشيعة،ج١١، ص١٣٧.

إن من أهم صفات الفرد المؤمن، الإنصاف، ويتجلى الإنصاف في شخصية الإنسان حين يستطيع التغلب على هواه وعاطفته لدى تقييمه لشخص قد يكون على خلاف معه. إن هذا السلوك لا يوجد إلا عند من يتمتع بقوة معنوية وإيمان راسخ.

حق المستشار

ثم يضيف الإمام عليه السلام: «**وَحَقُّ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ فِيمَا لَا يُوَافِقُكَ مِنْ رَأْيِهِ وَإِنْ وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ**»[1].

أما حق الذي استشرته؛ فهو الاستماع إلى رأيه بسعة صدر كافية، وإن كنت لا تنوي الالتزام والعمل بما أشار.

فهناك بعض الأشخاص يتمنون على مخاطبهم أن يبدي رأيه تجاه ما استشاروهم فيه، ولكنهم بعد التعرف على رأي المستشار، يشرعون بتخطئته، بعد أن قدم لهم ما يعرف وما يرى على طبق من الإخلاص، الأمر الذي ينتهي به إلى الندم على ما أخلص وقدم، بل إن المشير سرعان ما يقول للمستشير مستاءً: إذا كنت قد توصلت لهذه الحقيقة من قبل، فلماذا -إذن- طلبت مني المشورة؟ !

أسلوبان للأئمة عليهم السلام في تبيين المسائل

قبل مواصلة الحديث عن بنود (**رسالة الحقوق**) للإمام زين العابدين عليه السلام، يجدر بنا أن نشير إلى أن هذه الرسالة الشريفة قد عالجت الموضوعات المطروحة فيها بشكل دقيق، بحيث لو لم تتوفر لدى الإنسان

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٧.

أية مصادر سوى هذه الرسالة لاستغنى بها، ولاستطاع أن يحيى حياة طيبة من خلال التمسك بالتعاليم الواردة فيها.

كما أود الإشارة هنا إلى أن المعصومين عليهم السلام قد اعتمدوا أسلوبين في بيان وعرض الموضوعات المختلفة.

الأسلوب الأول: هو الخطاب بصورة الفتوى وبيان الأحكام الفرعية. وذلك حينما كان الأئمة يُسألون عن حكم الشريعة حول بعض الأمور الفرعية، فكانوا يعطون الفتوى الشرعية بخصوص مورد السؤال.

أما الأسلوب الثاني فهو أن يبتدىء الأئمة عليهم السلام الخطاب لبيان بعض المسائل والحقائق الأخلاقية والاجتماعية التي تشكل إطارات عامة للعمل وفق سنن الله في مختلف المجالات.

ومن هذا القبيل، الرسالة التي خاطب فيها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ابنه محمد ابن الحنفية، وكذلك رسالته إلى محمد بن أبي بكر وقد ذُكرتا ضمن رسائل **(نهج البلاغة)**. وكذلك وصايا النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم للإمام أمير المؤمنين عليه السلام، أو ابن مسعود أو أبي ذر، أو الرسالة المفصلة المروية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في معائش العباد ووجوه الحلال والحرام في الحقول الاقتصادية، فكل هذه الروايات وأمثالها وكذلك رسالة الحقوق التي نحن بصددها تُعتبر في الحقيقة دروساً تعليمية عظيمة على مختلف الصُّعد.

وللاطلاع على النوع الثاني من خطابات المعصومين عليهم السلام ينبغي الرجوع إلى أحاديثهم ورسائلهم التي تتطرق لبيان الأصول العامة للأحكام الشرعية من الواجبات والمحرمات، والمسستحبات والمكروهات.

حق المستنصح

يقول الإمام السجاد عليه السلام في هذا القسم من الرسالة بخصوص المستنصح: «**وَحَقُّ الْمُسْتَنْصِحِ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ النَّصِيحَةَ وَلْيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرَّحْمَةَ لَهُ وَالرِّفْقَ**»[1].

فإذا سألك أحد الأشخاص عن شيء أو كان بحاجة إلى التوجيه والإرشاد، فلا ينبغي أن تجابهه بالخشونة والعنف، بل لابد من ممارسة الرأفة والرحمة لدى مخاطبته.

أما إذا كنت أنت المستنصح، فإن للناصح حقوقاً عليك أيضا. يقول الإمام السجاد عليه السلام به ذا الخصوص: «**وَحَقُّ النَّاصِحِ أَنْ تُلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ وَتُصْغِيَ إِلَيْهِ بِسَمْعِكَ فَإِنْ أَتَى بِالصَّوَابِ حَمِدْتَ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ لَمْ يُوَافِقْ (الصواب) رَحِمْتَهُ وَلَمْ تَتَّهِمْهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ أَخْطَأَ وَلَمْ تُؤَاخِذْهُ بِذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مُسْتَحِقّاً لِلتُّهَمَةِ فَلَا تَعْبَأُ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى حَالٍ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»[2].

عندما تكون أنت المستنصح، ينبغي أن تسعى لأن تكون متواضعاً، وأن تستمع إلى ناصحك بكل تواضع ودقة، فإن شعرت بأن كلماته تنطبق

---

(١) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٧.

(٢) وسائل الشيعة، ج١١، ص١٣٧.

والموازين العقلية والقيم الشرعية، فاشكر الله سبحانه وتعالى على أن أرسل لك مثل هذا الشخص ليشجعك على العمل طبق الحق، والورع عن الباطل.

ولكنك إذا لاحظت في كلماته عدم التطابق مع الموازين العقلية والشرعية، فلك أن لا تلتزم بما يدفعك إليه من جهة، وعليك أن لا تواجهه باللوم والتقريع من جهة ثانية؛ فلا توبخه أو تعنِّفه من أجل ما اقترح عليك من الخطأ، فلعله كان ذلك منه بسبب سوء الفهم غير المقصود، ولعله أيضاً سيتنبه سريعاً إلى بطلان ما يرى.

ولكن إذا كان الناصح يتعمد ذلك بهدف التوصل إلى أغراض شيطانية، مثل إيجاد الفرقة بينك وبين الآخرين، فعليك أن تواجهه بطريقة أخرى. فلو أوصاك بضرب أخيك، مثلاً، وكان قد حرض أخاك وعبّأه ضدك من الجانب الآخر، فإن الأسلوب الصحيح لمواجهة هذا الذي يدعي النصح، طرده وعدم الاعتناء به.

15





حقوق
الكبار والصغار





حق كبار السن

ثم يشير الإمام زين العابدين عليه السلام إلى حقوق كبار السن فيقول: «**وَحَقُّ الْكَبِيرِ تَوْقِيرُهُ لِسِنِّهِ وَإِجْلَالُهُ لِتَقَدُّمِهِ فِي الْإِسْلَامِ قَبْلَكَ وَتَرْكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ وَلَا تَسْبِقَهُ إِلَى طَرِيقٍ وَلَا تَتَقَدَّمَهُ وَلَا تَسْتَجْهِلَهُ وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ احْتَمَلْتَهُ وَأَكْرَمْتَهُ لِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحُرْمَتِهِ**»[1].

فإذا صادفت وقابلت شيخاً هرماً كبير السن، كان له الحق عليك لأن تجعله موضع احترامك الخاص، لأن للعمر الذي قضاه هذا الفرد حرمة يجب حفظها.

وكذلك ينبغي إجلاله بسبب تقدمه عليك في اعتناق الإسلام وذلك بسبب تقدمه في السن عليك؛ فقبلك صام وصلى، وقبلك أدى فريضة الحج، وقبلك أصبح من أهل الإيمان، وهذه الأمور كلها مميزات عظيمة ومهمة يجب أن يجل المسن ويحترم من أجلها.

ومن جانب آخر؛ إن للأفراد المسنين حالة خاصة ووضعاً مميزاً، تبعاً لضعف أعصابهم، فلعل كلمة جارحة واحدة تتسبب في انهيار أعصابهم وإثارتهم، ولما كنت أنت شاباً قوي الأعصاب كان عليك أن تتعامل معهم

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٧.

بكثير من الصبر والأناة والتحمل، وأن تختار الهدوء والسكوت في كثير من حالات الحوار معهم.

فإذا كنت رفيق دربه ووصلتما إلى معبر ضيق، فقدّمه على نفسك.

في بعض الأحيان يلاحظ في أحد الشوارع رجلٌ مسنٌ يجلس خلف مقود السيارة، وهو يسير ضمن طريقه بكل هدوء ووقار، فيصادف أن يخطف من جانبه شباب يقودون سياراتهم بكل سرعة ووقاحة، فتراهم يزعقون ويتسببون في اضطراب السير كله، بل ولا يرون لكبير السن حق التقدم، أو تراهم يسخرون من طريقة قيادته المتأنية، في حين أن الأدب يقتضي سلوكاً وأسلوباً غير هذا الذي يبدر منهم.

ثم يؤكد الحديث على أنه إذا ارتكب الفرد المسن تجاهك خطأً لفظياً، فلا تنسبه إلى الجهل أو الهذيان، وإنما عليك أن تضع كل ذلك في حساب تقدمه عليك في السن، ولتعلم أن هذه الحالة ستكون مصيرك أنت أيضاً في يوم من الأيام.

يقال إن رجلاً طاعناً في السن، كان يسير محني الظهر في أحد الأزقة، فمر إلى جانبه شابٌ فخاطبه مستهزئاً: أيها العجوز عمَّ تبحث؟ !

فأجابه الرجل المعمّر يهمزه: أبحث عن الشباب.

فندم الشاب على ما بدر منه وتجرأ به من الكلام غير الرصين، وتوارى عنه مسرعاً ! !

حق الصغير

أما حق الصغار؛ فقد أشار الإمام السجاد عليه السلام إليه بقوله: «**وَحَقُّ الصَّغِيرِ رَحْمَتُهُ مَنْ نَوَى تَعْلِيمَهُ وَالْعَفْوُ عَنْهُ وَالسَّتْرُ عَلَيْهِ وَالرِّفْقُ بِهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ**»[1].

فمن أراد تعليم الطفل، فعليه أن ينظر إليه أولاً بعين الرحمة والشفقة، وذلك لأن الإنسان الجاهل يصعب عليه الاعتراف بجهله، وهو يريد أن يتعلم دون أن يُشعره الآخرون بجهله.

وإذا أراد الأستاذ تعليم تلميذه من منطلق التكبر والعنف فإنه سيدفعه إلى التهرب.

النبي عيسى عليه السلام يغسل أقدام الحواريين !

وفيما يتعلق بالتواضع أثناء التعليم، يُروى أن النبي عيسى عليه السلام خاطب الحواريين في يوم من الأيام قائلاً: **يا معشر الحواريين لي إليكم حاجة اقضوها لي**.

قالوا: قُضيت حاجتك يا روح الله.

فقام فغسل أقدامهم. فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله.

---

(١) وسائل الشيعة،ج ١١،ص ١٣٨-١٣٧.

فقال: **إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكيما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم.**

ثم قال عيسى عليه السلام: **بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل**[1].

ومن جملة المسؤوليات التي يتوجب على المعلم الالتزام بها تجاه تلميذه الصغير إذا ما بدر منه نوع من الكسل والفتور خلال الدرس أو أداء واجباته، هي مسامحته ما أمكنه، كمرحلة من مراحل التربية والتعليم . أما إذا أعلن عن عدم فهمه لموضوع الدرس، فعلى الأستاذ إعادته عليه مرة بعد مرة.

ثم إن الأستاذ ملزم بحفظ أسرار تلميذه إذا ما انتقل إلى معلم آخر، فلا يكشف أخطاءه ونقاط ضعفه في الأيام التي كان يتتلمذ فيها عليه.

كما يجب على الأستاذ أن لا يمنع عن التلاميذ مساعدته لهم في أي مجال يحتاجون إلى عونه.

نقل أحد العلماء: لقد كانت المشاكل المادية في عهد ملك إيران الأسبق، وانعدام الأمن لمواصلة الدراسة تضغط عليَّ إلى حدٍّ ألجأتني إلى اتخاذ قرار ترك الدراسة الحوزوية والعودة إلى منطقتي النائية عن مدينة قم المقدسة.

وحيث كنت أعدّ العدة للانفصال عن الحوزة وهجر الدراسة الدينية، قرع عليّ باب غرفتي ذات ليلة، وحينما فتحته، كان الوجه النوراني لأستاذي المرحوم الميرزا مهدي الأصفهاني يطلّ عليَّ، كان منزعجاً من

(١) بحار الأنوار، ج ١٤، ص ٢٧٨.

قرار الانفصال الذي اتخذته، فقال لي: نحن جميعاً ضيوف على مائدة الإمام المهدي عجل الله فرجه، فإذا تركنا خندق الدراسة الحوزوية خالياً فسينتصر العدو علينا، وأنا على استعداد من أجل أن تنثني عن قرارك لأن اقتسم معك ما يرزقني الله مهما كان قليلاً!.

وقد قام بذلك بالفعل، وأعانني بعمله هذا على مواصلة مسيرتي في الدراسة الحوزوية.

16





حقوق أُخرى..





حق السائل

أما بخصوص حق السائل الذي يطلب منك شيئاً، ويستجدي منك معونة؛ فقد قال الإمام السجاد عليه السلام: «**وَحَقُّ السَّائِلِ إِعْطَاؤُهُ عَلَى قَدْرِ حَاجَتِهِ**»[1].

أي إعطاء السائل الفقير ومساعدته على قدر حاجته إن كنت قادراً على ذلك، ولكن القضية تختلف -بالطبع- حين لا يكون لديك ما تتصدق به.

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٨.

حق المسؤول

ومن جانب آخر؛ فإن المطلوب من السائل رعاية الآداب اللازمة والخاصة بالمسألة. فحينما يطرق السائل باباً من الأبواب ويعطى شيئاً من المساعدة، ينبغي عليه أن يغضّ عين الطمع، ويكتفي بما أعطي، لكي لا يدفع بالكريم إلى الندم. أما إذا أعرب صاحب البيت أو المسؤول عن عدم وجود ما يتصدق به لديه، فلا يتهمه بالكذب أو البخل. يقول الإمام السجاد سلام الله عليه: «**وَحَقُّ الْمَسْئُولِ إِنْ أَعْطَى فَاقْبَلْ مِنْهُ بِالشُّكْرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِفَضْلِهِ وَإِنْ مَنَعَ فَاقْبَلْ عُذْرَهُ**»[1].

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٨.

حق المسرّ

ثم يشير الإمام علي بن الحسين عليه السلام إلى حق من أدخل السرور والبهجة عليك، فيقول: «**وَحَقُّ مَنْ سَرَّكَ لِلَّـهِ تَعَالَى أَنْ تَحْمَدَ اللَّـهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوَّلًا ثُمَّ تَشْكُرَهُ**»(١).

فإذا قدم لك شخص من الأشخاص خدمة معينة، وكانت سبباً في راحتك وبهجتك، فإنك ستكون ملزماً -في المرحلة الأولى- أن تحمد الله المنان، ثم تتوجه بالشكر لذلك الشخص، لما أدخل عليك من السرور.

فتارة يمكن غمر الشخص بالرضى والسرور عبر هدية معينة، وأخرى بالكلمة الطيبة، أو عبر إرائه الطريق وتسهيل المهمة، وقد يكون ذلك بأن تزور إماماً من الأئمة عليهم السلام بالنيابة عن شخص من الأشخاص.

إننا لم نخلق في هذه الدنيا لنتعذب، وإنما قد خلقنا الله سبحانه وتعالى لتتجلى فينا رحمته دون غضبه. ولذلك؛ كان على الإنسان أن يسعى دائماً لفتح الأبواب التي توفر له وللآخرين البهجة والسعادة،ولذلك فإن الملاحظ أن جميع الواجبات المذكورة في مصادر الوحي إنما هي من أجل ضمان مصالح الإنسان، وسبل سعادته.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٨.

ضيق النظر أمر مرفوض

وهنا تجدر بنا الإشارة إلى أن نظرة الإنسان إلى الحياة ينبغي أن تكون نظرة إيجابية، إذ أن النظرة السلبية هي نوع من أنواع الوسوسة الشيطانية النابعة من الثقافة الخاطئة التي تجر الإنسان إلى الانحراف والضياع.

ولقد اختصت سورة الأنعام بمعرفة الله سبحانه وتعالى ورحمته، وقد أكدت الروايات والأحاديث الشريفة على أهمية قراءة هذه السورة للاهتداء ببصائرها في حل مشاكل الحياة، ولدى التدبر في آيات هذه السورة نجد أن رسالتها للإنسان هي: أن على الإنسان أن لا يصطدم مع الأمور والأشياء، وأن لا يتعامل معها من منطلق الحرمة والممنوعية، بل إن الأصل هو الحلية والجواز.

فلا ينبغي أن يخلق تصور خاطى ء تجاه الشريعة الإسلامية في الأذهان، سيما أذهان الشباب، بأن الشريعة مجرد قوانين جامدة أو خشنة عنيفة تفتقر إلى المرونة.

فهناك من الأشخاص من قضوا عمرهم والتذوا بلذائذ الحياة، ولكنهم الآن عاكفون على تصوير الدين بأنه سلسلة من القوانين التي تقيّد حركة الإنسان وتعوقه عن التطور أو التطلع، فتراهم يروجون لثقافة الانعزال، مما يبعد ويفصل الجيل الشاب الصاعد عن الدين وتطلعاته وأهدافه.

ولكن مذهب أهل البيت عليهم الصلاة والسلام يؤكد دائماً وأبداً على الأبعاد الإيجابية للدين، ويرفض الرؤية السلبية والضيّقة والتشاؤمية للحياة.

الدنيا ليست داراً للكآبة

هنا يطرح بحث نظرة الدين إلى الفرح والسرور نفسه. فما يفهم من هذا القسم من رواية الإمام السجاد عليه السلام هو أن الإنسان لا ينبغي له أن يكون كئيباً حزيناً، بل عليه أن ينظر -أكثر ما ينظر- إلى النواحي الإيجابية للحياة، حتى لا يكون حزين القلب بلا داعٍ أو مبررٍ.

طبعاً؛ هناك من يمتاز بوضع سلبي خاص، وظرف كئيب معين، مما يجعله حزيناً ومهموماً، ولكن الحالة العامة يجب أن تصطبغ بالصبغة الواقعية. فلا ننظر إلى الدنيا باعتبارها داراً للنفور والكآبة والسلبية والتشاؤم، فنندم على الإقامة فيها، ونواجه الأمور بروح سلبية ووجه عابس.

ولذلك؛ فإن واحدة من الخصائص الإيجابية للإنسان هي أنه يميل بطبعه إلى النشاط والسعي وبذل الجهد، فهو ينفر -ذاتاً- من السكون والجمود، ولهذا يكره السجن والاعتقال والتقييد.

ولو كانت طبيعة الإنسان تميل إلى الهدوء العاري من السعي والكدح، فإن السجن قد يكون أحب شيءٍ بالنسبة له. ولكن مع ذلك؛ لا نجد أحداً يرغب باختيار السجن مأوى.

إن مشكلة السجن هي أنها تحد من الحرية والفعالية والنشاط الذي فطر الإنسان عليه.

لابد أنك شعرت في يوم من أيام العطلة الرسمية، حيث تقيم في بيتك أنك غير مرتاح قياساً بأيام نشاطك وفعاليتك، إذ تشعر بالحركة والانطلاق.

حق المسيء إليك

وفي الفقرة التالية من حديث الإمام السجاد عليه السلام، نلاحظ قمة السمو الأخلاقي للتعاليم الإسلامية، حيث يشير الإمام إلى حق من أساء إليك أيضاً، فيقول: «**وَحَقُّ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ أَنْ تَعْفُوَ عَنْهُ وَإِنْ عَلِمْتَ أَنَّ الْعَفْوَ يَضُرُّ انْتَصَرْتَ قَالَ اللَّـهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾**»[1].

فحق مثل هذا الإنسان أن تعفو عنه وتصفح عن إساءَته.

ولكنك إذا شعرت بأن العفو سيدفع الفرد المسيء إلى مزيد من الاعتداء والإساءَة إلى الآخرين، فلك أن لا تعفو، وقد أباح الله سبحانه وتعالى للمظلوم أن ينتصر لحقه. والملاحظ أن الآية الكريمة استخدمت كلمة **(الانتصار)** وهي تعني السعي لاستعادة الحق المهضوم، وهذا المفهوم يختلف جذرياً عن مفهوم **(الانتقام)**.

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٨.

حق المجتمع

ثم يشرع الإمام زين العابدين عليه السلام في بيان حق المجتمع الديني على الإنسان فيقول: «**وَحَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ إِضْمَارُ السَّلَامَةِ وَالرَّحْمَةِ لَهُمْ وَالرِّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ وَتَأَلُّفُهُمْ وَاسْتِصْلَاحُهُمْ وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ وَكَفُّ الْأَذَى عَنْ مُسِيئِهِمْ وَتُحِبَّ لَهُمْ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَتَكْرَهَ لَهُمْ مَا تَكْرَهُ لِنَفْسِكَ وَأَنْ تَكُونَ شُيُوخُهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَبِيكَ وَشَبَابُهُمْ بِمَنْزِلَةِ إِخْوَتِكَ وَعَجَائِزُهُمْ بِمَنْزِلِ أُمِّكَ وَالصِّغَارُ مِنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ أَوْلَادِكَ**»[1].

فعلى الإنسان أن ينظر للآخرين بمنظار ايجابي حسن، وأن يعتبرهم أفراداً صالحين أساساً، وأن يتعامل معهم جميعاً من منطلق الرأفة والرحمة.

وإن بدرت منهم أخطاء وممارسات مغلوطة، كان مكلفاً بأن يواجههم بالروح الرحيمة بالقدر الممكن، وأن يحملهم على محامل الخير والصلاح، مهما أمكن.

أما إذا تأكد من تعارض تصرفاتهم لأحكام الشرع والعقل السليم، كان عليه أن يرشدهم إلى السلوك الصحيح بلغة أخلاقية مفعمة بالاحترام والرأفة،، ليمكن إقناع الفرد الخاطئ بخطئه. فطبقاً للروايات المنقولة عن

---

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٨.

أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، على الفرد المؤمن أن يوفّر في نفسه القدرة على التآلف والتفاهم مع الناس.

فهناك بعض الأفراد ذوي الوجوه المقطبة والقلوب الغليظة ممن لا يمكن تحملهم، حتى لو كنت تتحلى بأسمى درجات الأخلاق الفاضلة.

ولكن هناك من الأشخاص من يقيمون أحسن وأروع وأمتن العلاقات بمجرد تبادل التحية والسلام معهم.

ذات مرة كنت مع المرحوم والدي في سفرة من مدينة مشهد إلى العاصمة الإيرانية طهران، وحينما اقتربنا من طهران، طرأ على سيارتنا عطل أوقفنا عن الحركة، فاضطررنا إلى اقتيادها إلى ورشة التصليح، ثم إن المرحوم والدي ترجل من السيارة لفرط ما تعرض له من حرٍ وتعب، حيث كانت الساعة الثانية بعد الظهر، وإذ كنت منهمكاً بشؤون السيارة مع الميكانيكي، فقد غفلت عن والدي،وبعد دقائق تنبهت إلى غيبته الغريبة، فاضطربت لذلك وأخذت أبحث عنه هنا وهناك، حتى وجدته غارقاً في الحديث مع بعض السائقين ومساعديهم بصورة حميمة، فطلبت إليه أن نذهب إلى مكان للاستراحة، وكان مما أثار دهشتي هو عدم وجود أي وجه شبه بينه وبين الذين كان يتحدث إليهم ويتحدثون إليه بتلك الحرارة وذلك التفاعل.

إن الإنسان المؤمن -في حقيقة الأمر- يجب أن يتمتع بمثل هذه الروحية التي تؤهله لإقامة علاقة المحبة مع جميع الشرائح الاجتماعية. العلاقة الطيبة الهادفة إلى الخير والإصلاح.

فيجب توجيه الشكر والامتنان لمن أحسن إليك، والتغافل عمن أساءك،

وأن تحب لغيرك ما تحب لنفسك، وأن تكره له ما تكره لها.

فإذا كنت في حالة عبور شارع من الشوارع ورأيت رجلاً طاعناً في السن فعليك أن تتصوره أباك فتساعده على العبور بسلام، وإذا رأيت شاباً فلك أن تعتبره أخاك. وهكذا بالنسبة إلى النساء الكبيرات في السن، حيث ينبغي أن تتعامل معهن كما تتعامل مع أمك، واعتبار الصغار من أبناء المجتمع وكأنهم أولادك.

وهكذا نجد أن المجتمع الذي يتمتع بمثل هذه النظرة والروح الإيجابية البناءة، يتحول بالفعل إلى جنة.

حق أهل الذمة

ويختم الإمام السجاد عليه السلام حديثه عن الحقوق بالإشارة إلى حق أهل الذمة، وهم أهل الكتاب الذين يعيشون في المجتمعات الإسلامية. يقول الإمام عليه السلام: «**وَحَقُّ الذِّمَّةِ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا قَبِلَ اللَّـهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُمْ وَلَا تَظْلِمَهُمْ مَا وَفَوْا لِلَّـهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعَهْدِهِ**»[1].

فإذا سمح الله تعالى لهم بالتعايش السلمي في المجتمعات الإسلامية حسب الشروط المذكورة في الشريعة الإسلامية، فعلينا نحن أن نقبل بذلك أيضاً، وأن لا نظلمهم ما داموا هم ملتزمين بواجباتهم ومسؤولياتهم.

(١) وسائل الشيعة، ج ١١، ص ١٣٨.

كلمة الختام

بعد إلقاء نظرة خاطفة على رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام نستلهم منها نقطتين أساسيتين ينبغي أن تشكلا الخط العام لحياتنا:

الأولى: عرفان الحقوق، إذ يلزم الفرد أن يتعرف على حق الله، وحق نفسه وأعضائه وجوارحه، وحقوق العبادات، ثم حقوق المرأة والرجل، والكبير والصغير، والمعلم والحاكم، وسائر طبقات وفئات المجتمع.

الثانية: إن على الإنسان أن يكون - من الناحية الروحية - تابعاً للحق والحقيقة، دون الهوى والأنانية والمصالح الشخصية.

الفهرس

تقديم **٥**
رسالة الحقوق **١١**

١ - حق الله عزّ وجل وحق النفس

حق الله **٢٥**
حق الله قبل كل شيء ٢٦
حق الله الأكبر ٢٧
الخضوع لله وحده ٢٨
حقّ النفس **٢٩**
حق اللسان **٣٠**
حقوق عامة ٣٣
التسليم والرضى شرط الإيمان ٣٥
حق الأُذُن **٣٧**
حق العين **٣٩**
حق البطن **٤١**
حق النفس قبل حقوق الآخرين ٤٢
الحصن في القرآن الكريم ٤٤

٢- حقوق العبادات

حق الصلاة علينا **٤٩**
شروط الصلاة الصحيحة ٥٠
حق الحج **٥٥**
حق الصيام **٥٧**
حقّ الصدقة **٥٨**
فائدتان للصدقة ٦٠
التاجر وأخذ الحقوق الشرعية ٦٠
الروايات: حِكمٌ ودقائق ٦١
دع الصلاة وابحث عن حقيبتك! ٦٢
أين أجهزة التلفاز الأرخص ثمناً؟ ! ٦٢
أهمية نصب المنبهات ٦٣
وظيفة الحاكم ٦٤

٣- حقوق المعلم والمتعلم

حق السائس بالعلم **٦٨**
مفهوم (السائس) ٦٩
واجبات التلميذ **٧١**
حقيقة العلم ٧٢

٤- حق وليّ الأمر

حق السائس بالملك **٧٥**
قصة المهاراجا والميرزا الشيرازي! ٧٧

قصة الكويتي والبنغلادشي! ٧٨
بنو إسرائيل والطلب غير المناسب !..... ٨٠

٥- حقوق الأسرة

حق الزوجة **٨٣**
جذور الأخلاق السيئة لبعض الأمهات..... ٨٥
المناهج الدراسية ومصير الشباب ٨٧
الطفولة؛ المرحلة المناسبة للتربية الإسلامية ٨٨
تعلّمن من زوجة عمران ! ٨٩
العاهات البدنية وسلوك الوالدين..... ٩٠
مسؤولية رب الأسرة..... ٩٢

٦- حقوق الفئات المستضعفة

حق العبيد..... **٩٥**

٧- حقوق الوالدين

حق الأم..... **١٠١**
الأمهات ومشكلة انخفاض نسبة الكالسيوم ١٠٢
حنان الأمومة والولد العاق..... ١٠٢
تضحية أم هندية !..... ١٠٣
وبالوالدين إحساناً ١٠٣
الأب والبنت العاقة !..... ١٠٤
مثل باكستاني !..... ١٠٥

حق الأب على الأولاد ١٠٥
دور المعرفة في احترام حقوق الآخرين ١٠٦
إصلاح القاعدة الاجتماعية ١٠٧
حق الأب على الأولاد ١٠٨

٨- حقوق الأولاد والإخوان

حق الولد ١١١
تكريس محورية معرفة الله ١١٣
ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ١١٣
كيفية تعليم الدين للأولاد؟ ١١٤
حق الأخ ١١٩

٩- حقوق ذوي الفضل عليك

مرحلتان في عملية التشريع ١٢٣
بين الفقه والأخلاق ١٢٥
وحق المنعم بالولاء ١٢٧
التحرير في العصر الراهن ١٢٨
ذم المنّ ١٢٩
الامتنان من الخلق ١٢٩
لا تغفل عن العقاب ١٣٠
حق ذي المعروف عليك ١٣٢

١٠- حقوق اجتماعية

حق المؤذّن **١٣٥**
حق إمام الجماعة..... **١٣٨**
حق الجليس **١٤٠**
حق الجار **١٤٢**
حقوق الصديق **١٤٥**

١١- حقوق العمل المشترك

حق الشريك **١٥٣**
عندما تقوم الشراكة على الإخلاص ١٥٤
الصدق في التعامل..... ١٥٥
حق المال **١٥٨**
الإنفاق الحلال ١٥٩
الاعتدال في الإنفاق ١٦١

١٢- حق الدائن والمدّعي

حق الدائن **١٦٧**
حق صاحب الدعوى **١٧٠**
الميرزا الشيرازي وحفظ حق المختلس !..... ١٧١

١٣- حقوق التشاور والتناصح

حق المستشير **١٧٧**
حق المستشار..... **١٧٩**

حق المستنصح ١٨١

١٤- حقوق الكبار والصغار

حق كبار السن ١٨٥
حق الصغير ١٨٧

١٥- حقوق أُخرى..

حق السائل ١٩٣
حق المسؤول ١٩٤
حق المسرّ ١٩٥
ضيق النظر أمر مرفوض ١٩٦
الدنيا ليست داراً للكآبة ١٩٧
حق المسي ء إليك ١٩٨
حق المجتمع ١٩٩
حق أهل الذمة ٢٠٢
كلمة الختام ٢٠٣

شرح رسالة الحقوق

إن هذا الشرح الذي نقدّمه للقارئ الكريم هو شرح لسماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي (دام ظله) كان قد ألقاه على طلبة البحث الخارج ضمن درسه الأخلاقي في الحوزة العلمية، وقد طبع فيما بعد بضميمة سائر روايات الدرس الأخلاقي تحت مسمّى (جهاد النفس)، كما طبع مستقلاً تحت عنوان «تأملات في رسالة الحقوق»، ونحن بدورنا نقدّمه للقارئ الكريم ضمن سلسلة شروحات نصوص المعصومين عليهم السلام التي قدّمها سماحته، والتي امتازت كما امتاز في تفسيره للقرآن الكريم، باستخراج الكنوز المعرفية والمعارف التربوية المؤثرة في واقع الإنسان، ولا يكتفي باستجلاء المعنى العام للنص، لذا تجده يحاكي الحياة في جوانبها المختلفة ويعرض التجارب في هذا السياق.

وينطلق سماحته في شرح رسالة الحقوق من رؤية تأسيسية للقيم التي تتفرع منها القوانين التي تصيغ حياة الإنسان وتنظّم مساره.

